جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - الجزائر
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية

الاجتهادات النحوية لمحمد الطاهر بن عاشور
(من خلال تفسير التحرير و التنوير)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي

تخصص : النحو العربي (مدارسه و نظرياته)

لجنة المناقشة

أ.د. بلخير شنين	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-	رئيسا
أ.د. عبد المجيد عيساني	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-	مشرفا و مقررا
د. علي زيتونة مسعود	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي-	مناقشا
د. محمد الصالح زغدي	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي-	مناقشا
د. محمود بن ساسي	جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-	مناقشا
د. عبد الرؤوف محمدي	مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية –وحدة ورقلة-	مناقشا

إعداد الطالب :
عبد العزيز بن هنية

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد المجيد عيساني

السنة الجامعية 2021/2020

باسم الله الرحمان الرحيم

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾

محمد: 24

إهداء

- إلى الشجرة الباسقة ، اللغة العربية التي شرفها الله فجعلها وعاء لكتابه.

- إلى الأوفياء الذين أحبوا العربية و جعلوها وساما في صدورهم.

- إلى كل أحبابي و حبيباتي ، أصولهم و فروعهم.

أهدي هذا العمل .

مقدمـــة

الحمد الله الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين".

أما بعد.

فإن أفضل ما صرفت فيه الأوقات، وقضيت فيه الأعمار كلام الله –عز و جل– تلاوة وتعلما وتعليما، ودراسةُ كلَّ ما يعين على فهمه وتدبره. ولما كانت العلوم تتشرف بموضوعاتها، فإن الدراسات القرآنية عامة، وعلم النحو والإعراب خاصة من أجل هذه العلوم وأشرفها، لتعلقها المباشر بكتاب الله عز وجل. والنحو والإعراب من أهم الينابيع والمصادر التي تكسب النصوص القرآنية ثراء للمعنى. ولذلك كان علم النحو والإعراب على رأس العلوم التي لابد أن يتضلع بها من يتصدى لتفسير كلام الله عز وجل. ومن هؤلاء المفسرين المعاصرين الذين منَّ الله بهم على البشرية العلامة محمد الطاهر بن عاشور. ومن هنا أردت إبراز اجتهاداته في تعامله مع الوجوه الإعرابية للآيات القرآنية عرضا وتوجيها وتوظيفا لثراء المعنى القرآني.

ولتحقيق هذا نطرح الإشكالية الرئيسية التالية والتي تتفرع عنها إشكاليات فرعية:

. ما هي الكفاءات التي امتلكها الطاهر بن عاشور ليتمكن من تأويل وتفسير القرآن من خلال اجتهاداته النحوية؟ و كيف تسهم هذه الاجتهادات النحوية في تقريب المعنى المراد من الآيات القرآنية؟ وماذا أضافت معارف واجتهادات الطاهر بن عاشور لمعارف المخاطب؟

ومن هذه الإشكالية الرئيسية تتفرع بعض الإشكاليات الجزئية ومنها:

هل استطاع ابن عاشور بالمنهج الذي تبناه في تفسيره، أن يبين جمال النص القرآني وأن يكشف عن جوانب الإعجاز النحوي؟ وهل استطاع ابن عاشور أن يبين العلاقة الكائنة بين النص القرآني وكلام العرب، حتى يؤكد روح العربية في القرآن الكريم؟

و هل اكتفى ابن عاشور بالدرس النحوي في القرآن الكريم رصدا وكفى؟ أم أن النحو كان مقياسا من المقاييس التي ساعدت المفسر على تقريب المعاني القرآنية اعتمادا على روح العربية الموجودة في النص القرآني، مما سهل له استنباط الأحكام الفقهية وغيرها؟ وما هي

أوجه التشابه بين اجتهادات ابن عاشور النحوية وما توصل إليه النحويون القدامى والمحدثون وبخاصة ما تعلق بالقراءات القرآنية وتأويلات النحاة؟ وهل يعد تفسير التحرير والتنوير عرضا لآراء المفسرين والعلماء أم إضافة إلى التفاسير التي سبقته ما لم يكن فيها؟

ومن خلال هده الإشكالية الرئيسية وما تفرع عنها من إشكاليات فرعية ارتأينا أن يكون عنوان البحث موسوما بـ : "الاجتهادات النحوية لمحمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسير التحرير والتنوير "

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها ما يلي:

. رغبتي في مواصلة البحث في علم النحو والإعراب من خلال أحد تفاسير القرآن الكريم التي كان مصدرها بلاد المغرب العربي الكبير.

. تمكن الطاهر بن عاشور من علوم اللغة العربية، من نحو وصرف وبلاغة وظهور آثار هذه العلوم في توجيه المعنى.

. إبرازه للإعجاز القرآني اللغوي والبلاغي والنحوي والصرفي.

. القيمة العلمية لهذا التفسير وما تنتجه من معرفة.

. إشادةُ بعض العلماء والباحثين المعاصرين ممن نكن لهم كل التقدير والاحترام، بشخصية الطاهر بن عاشور أنشأ لدي ميلا لاستزادة الاطلاع على هذه الشخصية والتنقيب على ما خلفته من أثر خالد لخدمة القرآن الكريم ولغة القرآن الكريم.

وتركزت أهداف هذه الدراسة في:

1- إنَّ الطاهر بن عاشور شخصية فذة تستحق الدراسة.

2- رد الاعتبار للتراث النحوي المغربي الذي طالما عانى من التخطئة، والازدراء على أيدي بعض الباحثين الذين لم يتعاطوا معه بروح المسائل المحايد غير المحمل بأحكام مسبقة من آراء المستشرقين غير المنصفين أو غيرهم.

3- إثبات أصالة وتميز الفكر النحوي عند الطاهر بن عاشور وقدرته وكفاءته.

هذه الأهداف وغيرها كثير مما يحاول هذا العمل المتواضع تحقيقها وفق خطة مؤلفة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فالفصل الأول كان ترجمة للشيخ الطاهر بن عاشور وانطوى تحته ثلاثة مباحث المبحث الأول كان لنسب الشيخ طاهر بن عاشور ومولده ونشأته؛ والمبحث الثاني كان لسيرته العلمية وشيوخه وتلاميذه وتأثره بمفكري عصره.وإصلاحاته وتطور العلوم في عصره. والمبحث الثالث كان في التعريف بكتاب التحرير والتنوير.

والفصل الثاني فكان حول الاجتهادات النحوية للشيخ الطاهر بن عاشور من خلال تفسير التحرير والتنوير، وانطوى تحته مبحثان؛ فالمبحث الأول كان حول اهتمام الطاهر بن عاشور بعلوم اللغة وآدابها والمبحث الثاني عنوانه: أهمية الدرس النحوي عند ابن عاشور في فهم النص القرآني ومن هذا الأخير تتضح وتتجلى هذه الاجتهادات النحوية.ولم يراع في هذه الاجتهادات الترتيب ولا الحصر، بل كانت من سور مختلفة وآراء مختلفة وكانت هذه طريقة الشيخ في تفسيره.

والفصل الثالث فكان حول اجتهادات الطاهر بن عاشور النحوية والمدارس النحوية القديمة وانطوى تحته مبحثان؛ فالمبحث الأول كان مخصصا لمدرستي البصرة والكوفة، والمبحث الثاني خصصته لبقية المدارس الأخرى من بغداد ومصر والأندلس والمغرب. وتخلل هذا الفصل مقارنة بين ما توصل إليه ابن عاشور مع بعض آراء هذه المدارس السالفة الذكر.

ونظرا لطبيعة الموضوع والخطة المنتهجة فيه، فإن الباحث مضطر لأن يعتمد أكثر من منهج واحد.

ففي الفصل الأول والذي سيكون مخصصا للحديث عن حياة محمد الطاهر بن عاشور سأعتمد المنهج التاريخي.

وفي الفصل الثاني والذي سيكون مخصصا للوقوف على الاجتهادات النحوية من خلال تفسير التحرير والتنوير فسأعتمد على المنهج الوصفي وفق إجراء التحليل.

وفي الفصل الثالث سأعتمد على المنهج التقابلي مستشهدا بما توصل إليه من اجتهادات نحوية، وما توصل إليه غيره من النحاة القدامى مركزا على دور هذه الاجتهادات في تطور الفكر العربي وتقدم الأمة العربية ونهضتها وإصلاحها فمن الطبيعي أن تتنوع المناهج والمصطلحات المستعملة بحسب طبيعة كل فصل.

و لا شك أن هده الدراسة قد سبقتها دراسات أخرى عن الطاهر بن عاشور بعضها قريب منها، أعني بها الدراسات اللغوية، منها:

. تفسير ابن عاشور دراسة لغوية، عبد الوهاب صابر عيسوي.

. الجهود البلاغية لمحمد الطاهر بن عاشور، عبد الرحمن إبراهيم السيد فوده.

. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، حياته و آثارة، هيا ثامر مفتاح علي.

. منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل صقر.

وهذه الدراسات تتقاطع مع بحثنا هذا في ما يتعلق بالمنهج إذ لاحظنا ميل الطاهر بن عاشور إلى البحث اللغوي في تفسيره

ولإنجاز هذا العمل رجع الباحث إلى مصادر ومراجع متنوعة بين القديمة والحديثة؛ النحوية والدينية والتاريخية وعلى رأس هذه المصادر والمراجع: تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور. وبعض مؤلفاته الأخرى مثل: أليس الصبح بقريب، وتحقيق مقدمة في النحو لخلف الأحمر. بالإضافة إلى بعض أمهات الكتب في النحو: مثل: الكتاب لسيبويه، والمغني لابن هشام والمدارس النحوية لشوقي ضيف بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية التي تناولت حياة الطاهر بن عاشور.

وكأي عمل لابد من صعوبات تواجهه، فكان من بينها كثرة الدراسات التي تناولت الشيخ الطاهر بن عاشور، ولكنها قليلة من الوجهة التي يتبناها هذا البحث، فطابع الجدة الذي يسم هذه المعالجة جعل صعوبة كبيرة تكتنف التعاطي معها.

ومع هذا فلا أزعم أني أحطت بجميع الاجتهادات النحوية التي اعتمدها الطاهر بن عاشور في تفسيره، فهي أكبر من أن يحيط بها بحث كهذا. ولذلك جعلت بحثي ينصب حول اجتهادات معينة اخترتها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر.

ولا ينسى الباحث أن يقدم شكره وتقديره لجامعة قاصدي مرباح بولاية ورقلة، ويخص الأستاذ الدكتور عبد المجيد عيساني المشرف على هذا البحث الذي قدم له كل معونة، فجزاه الله خير الجزاء ولكل من ساهم في مد يد العون لإنجاز هذا البحث.

وختاما فهذا جهدي قدمت منه ما أقدرني الله على تقديمه، ولا أدعي كماله، فإن أك وفقت فذاك من الله، وإن أك غير ذلك فالضعف والتقصير من خلق البشر.

والله أسأل أن يأخذ بأيدينا لما فيه خير للغتنا العربية.

تقرت في:

06 رمضان 1441هـ. /الموفق لـ:29أفريل2020.

الفصل الأول:

ترجمة محمد الطاهر بن عاشور

المبحث الأول: نسبه و مولده و نشأته

المبحث الثاني: سيرته العلمية و شيوخه و تلاميذه وتأثره بمفكري عصره.

المبحث الثالث : أهم مؤلفاته (التحرير و التنوير)

المبحث الأول: نسبه و مولده و نشأته

المطلب الأول: نسبه.

المطلب الثاني: مولده.

المطلب الثالث: نشأته .

المطلب الأول : نسبه

أصل هذه الشجرة الزكية الأوّل هو محمد بن عاشور، ولد بمدينة سلا من المغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فارا بدينه من القهر والتنصير توفي سنة 1110 هـ، وقد سطع نجم آخر وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وهو جدّ مترجمنا. ولد سنة 1230 هـ. وقد تقلد مناصب هامة كالقضاء والافتاء والتدريس والإشراف على الأوقاف الخيرية والنظارة على بيت المال والعضوية بمجلس الشورى.

ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد العزيز بوعتور والشيخ يوسف جعيط والشيخ أحمد بن الخوجة والشيخ سالم بوحايب والشيخ محمود بن الخوجة والشيخ محمد بيرم.

ومن سلالة آل عاشور والد شيخنا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وقد تولى رئاسة مجلس ادارة جمعية الأوقاف ثم خلفه عليها أبو النخبة المثقفة محمد البشير صفر، حيث عينته الدولة نائبا عنها في تلك المؤسسة وقد تدّعمت الصلة وتمتنت بين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجدّ و تلميذه محمد العزيز بوعتور الوزير ونتج عنها زيجة شرعية لابنه الثاني–محمد العزيز بوعتور– على ابن الأوّل – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجدّ– وهكذا تمت أواصر هذه العائلة بالعائلات التونسية[1]

وأخذت مكانها وارتبطت صلاتها فكانت شجرة طيبة زيتونة لا شرقية ولا غربية أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين باذن ربّها.

(1) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رائد الفكر الاسلامي، نقلا عن نشرية الكلمة الطيبة، السنة الأولى، العدد 12 محرم 1417..

المطلب الثاني: اسمه ومولده:

هو محمد بن محمد بن محمد الطاهر، ابن عاشور، ولد بضاحية المرسى بتونس في جمادى الأولى سنة 1296هـ الموافق لشهر سبتمبر سنة(1879م).

فأسرة بن عاشور فيما تذكره المصادر أسرة شريفة تنتمي إلى آل ببيت النّبي "صلّى الله عليه و سلّم"[1] وقد هاجرت من الأندلس بعد احتلال الأسبان لها و تنكيلهم بالمسلمين و محاولة تنصيرهم فرارا بدينهم من تلك الفتن[2] فاستقرت بمدينة (سلا) بالمغرب الأقصى، حيث أقامت فترة ثم انتقلت إلى تونس على يد ابن عاشور الجد الأعلى. وكان رحيل ابن عاشور الجد الأعلى إلى تونس عام 1060هـ تقريبا وكان عمره في ذلك الوقت حوالي 30 عاما ومنذ ذلك الوقت اشتهر آل عاشور في تونس، وكان مصدر شهرتم هو النسب الشريف والعلم والسيرة المحمودة.

المؤرخ "حسين خوجة" يصف محمد بن عاشور الجد الأعلى بأنه الواصل الى رتب المواصل، المختص من جانب القدس بمزيد العناية و الأندلس، والسالك مسلك الطريقة، السائح في بحار أهل الحقيقة..... من كساه الله جلابيب السر والنور، الشيخ المربي المعتمد سيدي محمد بن عاشور[3] ويصف ابنه عبد القادر بأنه الواصل على مراتب أهل القرب

والكمال والمتحلي بحلي الأسرار الموروثة عن والده مكملة الحسن والجمال[4] وأياّ كان رأي الباحث في هذه الأسرة وتقديم الناس لها بدأت منذ الجد الأول لهم في تونس، ويبدو أن

(1)الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره، هيا ثامر مفتاح العلي، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1994 ص21.

(2) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وأثاره، بلقاسم الغالي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنانم، ط1، 1417هـ . 1996م، ص35.

(3) ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، حسين خوجة ، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، دت، دط، ص281.

(4) المصدر نفسه..

المؤرخ محمد بن محمد الأندلسي السراج[*]المتوفي سنة 1149 هـ قد عاصر محمد بن عاشور، فقد ترجم له ترجمة حافلة في الحلل السندسية ووصفه فيها بأنه الأستاذ المربي وهي أوصاف لا تخلو من الغلو أيضا، لكن يصفو لنا من وصفه له في هذه الترجمة أنه كان لا يفارق الدرس ولا الجماعة وليس له في سوق المطامع السنوسية بضاعة. وأنه كان يأتي إلى حضرته أجلة العلماء يستفيدون منه[1]وقد ذكر المؤرخ محمد بن محمد الأندلسي السراج بعض العلماء الذين ترددوا على الشيخ ليستفيدوا منه، وقد امتدت هذه المكانة مع أبنائه من بعده، فابنه عبد القادر يصفه صاحب الحلل السندسية بأنه الشيخ البركة سيدي عبد القادر، و قال عنه:"انه يتيمة مقامه اليوم و المورد الأحمى لدى القوم" وأما ابنه الآخر إدريس فهو عند صاحب الحلل – الفقيه العارف،المتقن الأريب، الآخذ من غالب الأمور بأوفر نصيب، ثم نجد ذكرا لمحمد بن محمد بن عبد القادر الذي درس العلوم الشرعية على أعيان جامع الزيتونة كالشيخ العيوني والشيخ المشاط والشيخ حسن الشريف ثم درس في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) [2] وابنه محمد – المشهور بمحمد – أخذ عن أعلام عصره كالشيخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي ومحمد بن ملوكة ومحمد بن الخوجة،وقد تفوق و برز في وقت قصير وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم.

وأما محمد الطاهر أخو حمدة، فهو الرمز المعبر عن مكانة هذه الأسرة في تونس و هو الذي كان له الأثر البالغ في صاحب التحرير والتنوير، فقد ولد بتونس سنة 1203هـ، وانخرط مثل أخيه الأكبر حمدة في طلب العلم على الشيوخ في جامع الزيتونة، بل كان حمدة من أساتذته في هذا الجامع.

---

[*]أبو عبد الله السراج الشهير بالوزير مؤرخ تونسي، من الكتاب، له: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، توفي سنة 1149هـ.

(1) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي السراج، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1970، ج2، 622.

(2) ابن عاشور ومنهجه في التفسير، ص101

والتاريخ العلمي لمحمد الطاهر الجد يكشف عن متانة، فقد تصدر للتدريس في جامع الزيتونة، فدرس النحو و البيان والأصول و العلوم الأدبية، وقيد الحواشي و الاختصارات على بعض الكتب منها حاشيته على قطر الندى: (هدية الأريب الى أصدق حبيب)، وتقاريره وتقييداته على حاشية السيلكوتي على المطول في البلاغة، وتعليقاته على ما أقرأه من صحيح مسلم، وكذلك حاشيته على شرح المحلي لجمع الجوامع للسبكي في الأصول، وإن كان بعض هذه التقييدات لم يتم. إلا أنها توحي بتنوع اهتماماته العلمية من حديث ولغة وبلاغة وأصول.

وقد تولّى محمد الطاهر بن عاشور الجد حملة من المناصب إلى جانب التدريس في جامع الزيتونة، منها توليه قضاء الجماعة في عهد الباي أحمد باشا، ثم تقليده خطة الإفتاء ونقابة الإشراف والاحتساب على الأوقاف في عهد الباي محمد الصادق، ثم تعيينه عضوا في المجلس الأكبر للشورى الذي عبر عنه ابن أبي الضياف[*] بأن الحامي لحقوق المملكة والدولة والسكان. وهذا كله يؤيد ماسيق ذكره أن محمد الطاهر الجد هو الرمز المعبر عن مكانة هذه الأسرة والذي كان ابن عاشور صاحب التحرير والتنوير امتدادا له علما ومكانة.

[*] أبو العباس أحمد بن أبي الضياف بن عمر بن أحمد بن نصر المجدوب ابن الباهي الصوفي وزير تونسي، من الكتاب المؤرخين. أشتهر بكتابه (إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان) توفي سنة 1291هـ.

المطلب الثالث: نشأته و زوجته وأبناؤه

1- نشأته

نشأ الطاهر ابن عاشور رحمه الله في عائلة عِلْمٍ وجاه تحت رعاية أبيه محمد(ت 1920م)، والذي كان زيتوني التكوين ورئيسا لجمعية الأوقاف وكذلك جدُّه للأم الوزير العالم محمد العزيز بوعتور(1907م) الذي حرص كلَّ الحرص على أن يكون الطاهر خليفتهم في العلم والمكانة، وكانت هذه الصلة بين الجدّ والحفيد النبيه تزداد وثوقا على مرّ الأيام.

وقد بدأ تعلّم القرآن الكريم في سنّ السادسة وحفظه على المقرئ الشيخ محمد الخياري بمسجد أبي حديد المجاور لدار جدّه بمنهج الباشا في مدينة تونس، فأظهر نبوغًا منقطع النظير، وقرأ فيه علوم القرآن والقراءات، والحديث، والفقه المالكي وأصوله، والفرائض والسِّيرة، والتَّاريخ، والنَّحو واللُّغة والأدب والبلاغة، وعلم المنطق.ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية، كمتن الآجرومية في النحو، وابن عاشر في الفقه المالكي وغير ذلك. وتلقى الشيخ المبادئ الأولى في قواعد اللغة العربية على الشيخ أحمد بن بدر الكافي اعتمادا على شرح خالد الأزهري على الآجرومية [1]وتعلم اللغة الفرنسية وأتقنها عل يد أستاذه الخاصّ أحمد بن ونَّاس المحمودي.

والتحق بجامع الزّيتونة الأعظم[*]سنة (1310هـ-1893مـ)، وهو في سن الرابعة عشرة من عمره، فدَرَسَ فيها وتميّز على أقرانه ، وكان ذا عقلٍ وذكاءٍ قوي، مما ساعده على تحصيل كثير من العلوم ، ومما ساعده أيضاً على تحصيله العلمي هو المحيط الذي كان

---

(1) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، أياد خالد الطباع، طبعة دار القلم تونس، دت ص25.

(*) أسَّسَه الأمير عبيد الله بن الحبحاب سنة (114هـ) على عهد خلفاء بني أمية، وتم بناؤه سنة (141هـ)، وهو أول جامع أُسِّسَ في تونس، ويمثل منارة علمية عظيمة، تخرج منه عددٌ من العلماء. ينظر: (تاريخ جامع الزيتونة، محمد بن عثمان الحشائشي، تحقيق الجيلاني بن الحاج يحي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط2، 1985، ص/ 21) و جامع الزيتونة، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980، ط1، ص/ 45.

يعيش فيه، فقد طلب العلم على شيوخٍ أجلاء كانت لهم مكانتهم العلمية والفكرية في تونس، مما جعل الطاهر يتفوق في دراساته الدينية واللغوية والأدبية ويبرع في كثير من العلوم مثل علوم الشريعة وعلوم الآلة وغيرها.حيث درس في حلقاته العلمية أيضًا اللغة وشتى علومها من نحو وصرف وبلاغة وعروض، كما درس علوم الشريعة من فقه وأصول وتفسير وحديث، ولم يلبث أن صار أستاذا فيه وشيخًا من أعلام شيوخه عام 1896م [1]

وبعد تخرجه وحصوله على شهادة التطويع عاد إلى حضور درس الشيخ محمد النخلي، فقرأ عليه الوسطى في العقيدة، وشرح المحلّى على جمع الجوامع في أصول الفقه والمطول في البلاغة، والأشموني في النحو كما حضر مع صديقه الشيخ الخضر حسين درس الأستاذ عمر بن الشيخ لتفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب الموافق، ودرس الشيخ سالم بوحاجب لكتابي البخاري والموطأ بشرحيهما[2]

وكان الشيخ رحمه الله رجلاً تزيّنه أخلاقٌ رضيَّةٌ وتواضعٌ جمٌّ، اشتُهر بالصبر وعلوِّ الهمَّة والاعتزاز بالنَّفس، عفيف القلم، حلو المحاضرة، طيب المعاشرة.

يقول زميلُه في الطَّلَب وصديقه المقرَّب الشيخ محمد الخضر حسين: "شبَّ الأستاذ على ذكاء فائق، وألمعيَّة وقَّادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغُه بين أهل العلم". وقال فيه: "وللأستاذ فصاحةُ منطق وبراعة بيان، بالإضافة إلى غزارة العلم وقوَّة النَّظر وصفاء الذَّوق وسعة الاطِّلاع في آداب اللغة".

وقد وصَفَه الحبيب بن الخوجة فقال: "رأيت فيه شيخاً مَهيباً يمثِّل امتداداً للسَّلف الصَّالح في سَمْتِه، ودخل في عقده العاشر ولم تنل منه السُّنون شيئاً.. قامةٌ سمهريَّة خفيفة اللَّحم، وعقليَّةٌ شابَّةٌ ثريَّةٌ بحصيلتها، وقلبٌ حافظٌ أصاب من علوم القدماء والمحدَثين، ولسانٌ لافظٌ

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مجلة المنهل،عدد 449 الربيعان 1407هـ.

(2) محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، دار القلم، دمشق، ط1، 1426هـ . 2005 م، ص29.

يقدر على الخوض في كل شيء من المعارف، وذهنٌ متفتحٌ يشقِّق الحديث روافدَ مع وقارٍ يزيِّنه وفضلٍ يبيِّنه، وأخلاقٌ وشمائلُ حسنةٌ تهشُّ للأضياف وترحِّب بالوارد، وتعطي في عُمق لمن يريد الاغترافَ من بحر كثُرت مياهُه وقد ازدحمت العلومُ فيه".

وكان في مناقشاته العلميَّة لا يجرح أحداً ولا يحطُّ من قدره، فإذا لاحظ تهافتاً في الفكر لمَّح إلى ذلك تلميحاً، وبرغم الحملات التي شُنَّت ضده لم ينزل عن المستوى الخُلُقي الذي يتَّصف به العلماء، بل لم يُشِر إلى خصومه، ولم يَشكُ منهم قطُّ.

ويقول فيه محمد الحبيب بلخوجه: "هو نمطٌ فريد من الأشياخ، لم نعرف مثلَه بين معاصريه أو طلَّابه أو من كان في درجتهم من أهل العلم.. وقد وهبه الله متانةَ علم، وسعة ثقافة، وعمق نظر، وقدرة لا تفتُر على التَّدوين والنَّشر، ومَلَكات نقديَّة يتَّضح أثرها في طريقة الجمع بين الأصول والتعريفات، وما يلحق بها من ابتداعات وتصرُّفات".

قال فيه الشَّاعر التُّونُسي محمد الحليوي:

عَلَمٌ يَعِزُّ نَظيرُه في دَهرِهِ •• هَيهاتَ ، ليسَ نَظيرُه بمُتاحِ

عَلَمٌ تجمَّع عِلمُهُ في شَخصِهِ •• كتَجَمُّع الأَضواءِ في الـمِصباحِ

ما ضَرَّ مَن أضحى يَعيشُ بعَصرِهِ •• إنْ لم يُشاهِد (مالكاً) في السَّاحِ

اشتهر الشيخ الطاهر بن عاشور بالصبر والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث، والترفع عن الدنيا، حاول إنقاذ التعليم الزيتوني، ولكن هذه المنارة العلمية ألغيت سنة (1961م)، فتولى العلم بتونس.

2- زوجته وأبناؤه:

تزوَّج محمد الطَّاهر ابن عاشور السَّيِّدة الشَّريفة فاطمة بنت نقيب الأشراف بتونس السَّيَّد محمد محسن، فأنجبت له أربعة بنين واثنتين من البنات.

برز من أولاده السيِّد محمد الفاضل (1909-1970م) الذي تولى التدريس بجامع الزيتونة والقضاء، ثم عمادة الكلية الزيتونيَّة للشريعة وأصول الدين، وعُيِّن مفتياً للجمهورية التُّونسيَّة، وكان عضواً بمجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، وله مجموعةٌ من الكتب المطبوعة والأبحاث.

وكذلك الأستاذ عبد الملك وكان موظفاً سامياً، وله بحوث وتحقيقات علميَّة نُشرت له بالمجلَّات التُّونسية.

وللشيخ محمد الطاهر أحفادٌ بررة أساتذة جامعيُّون، منهم الأستاذ الدُّكتور المؤرِّخ محمد العزيز بن عبد الملك، والأستاذ الدُّكتور الحقوقيُّ عياض بن محمد الفاضل الذي رأَس الجامعة التونسية.

المبحث الثاني:سيرته العلمية

المطلب الأول: سيرته الذاتية والعلمية.

المطلب الثاني: شيوخه وأساتذته وتلاميذه.

المطلب الثالث: تأثره بمفكري عصره.

المطلب الرابع : إصلاحاته و تطور العلوم في عصره.

المطلب الأول: سيرته الذاتية والعلمية.

1-شخصيته:

لم يكن الطاهر رحمه الله إنساناً سلبياً أو شخصاً عادياً، بل كانت له شخصيته المتميزة التي اتسمت بالهمة العالية، وطلب الصلاح والإصلاح في المجتمعات الإسلامية عامة ، وفي المجتمع التونسي خاصة ، وكان رحمه الله ممن يحاربون التقليد والجمود.

كان رحمه الله جَمَّ النشاط، غزيرَ الإنتاج، تُزَيِّنُه أخلاقٌ رَضِيَّةٌ، وتواضع، فلم يكن على سعة اطلاعه، وغزارة معارفه مغرورًا كشأن بعض الأدعياء، ممن لم يبلغ مستواه[1].

فقد قال عنه محمد الطاهر المِيسَاوِيّ[1]في مقدمته على كتاب مقاصد الشريعة لابن عاشور :" لقد عرفت الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور طالباً نابِهاً متميزاً في تحصيله العلمي، وخَبِرَتْهُ أروقتُها مدرساً متحمّساً مقتدراً ، وعهدَه طلابُها وأساتيذُها داعيةً لإصلاح التعليم الزيتوني، وحاملاً للوائه، وعاملاً في سبيله من مواقعَ مختلفةٍ، كما عرفت تونس ابنَ عاشور شيخاً لجامعها الأعظم- الزيتونة - وخَبِرَتْهُ قاضياً ومفتياً يتوخَّى تحقيقَ العدل والالتزام بالحق في أقضيته وفتاويه مهما كان في ذلك من معارضة لرغبات المتقاضين، أو مناقضة لأهواء المستفتين" [2].

2- مسيرته العلمية والوظيفية:

لقد اتسمت مسيرة هذا العالم الجليل بكثير من الإنجازات العلمية والوظيفية فمنها على سبيل المثال لا الحصر[3]:

(1) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان، ط2، 1994م، ج3، ص306.

[1] هو محقق معاصر ، وأستاذ جامعي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار الكتاب المصري، دت، ص 19.

(3) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (3/ 304).

1-التحق الشيخ ابن عاشور بجامع الزيتونة، وثابر على تعلّمه به حتى حصل على شهادة التطويع سنة (1317هـ/1896م).

2-شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية واجتازها بنجاح سنة (1320هـ/1899م).

3-شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الأولى فنجح فيها سنة (1324هـ/1903م).

4-في سنة (1325هـ/1904م) سُمِّي نائبًا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة.

5-سُمِّي عضوًا مؤسِّسًا للجنة تنقيح برامج التعليم بجامع الزيتونة سنة (1329هـ/1908م)، ثم التحق بعد ذلك بالقضاء.

6-في سنة (1331هـ/1913م) صار عضوًا بالمحكمة العقارية، وقاضيًا مالكيًّا.

7-عُيِّن مُفتِيًا مالِكِيًّا سنة (1341هـ/1923م).

8-عيّن كبير المفتين سنة (1342هـ/1924م).

9-عُيِّن شيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة (1351هـ/1932م)، وهو أول من تولى هته الخطة، وفي نفس السنة سُمّي شيخ جامع الزيتونة وفروعه لأول مرة،ولكنه استقال من مَشْيَخَةِ جامع الزيتونة بعد سنة واحدة.

10-في سنة (1364هـ/1944م) سُمِّي شيخًا لجامع الزيتونة وفروعه للمرة الثانية.

11-في سنة (1956م) عُيِّن شيخًا عميدًا للكلّية الزيتونية للشريعة وأصول الدين حتى سنة (1960م).

وقد أدّى رحمه الله كلّ هذه المهام الجسام بكل براعة وأمانة ودِقّة، حتى أصبح إماماً بكل ما تحمله من مسئوليات ، فرحمه الله رحمة واسعة .

3- مؤلفاته:

ساهم الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في إثراء المكتبة الإسلامية والعربية في كتاباته ومؤلفاته التي وصلت إلى الأربعين مؤلفاً ومن هذه المؤلفات اللغوية والأدبية والشرعية وهي على الترتيب كما يلي:

*** مؤلفاته في علوم العربية:**

1- الأمالي على دلائل الإعجاز. (مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

2- تحقيق (مقدمة في النحو)[1]. المنسوب إلى خلف الأحمر

3 - أصول الإنشاء والخطابة. طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (1988م).

وهو كتاب في فنّ الأدب، اهتمّ فيه بالأسلوب في التعبير الذي يهدف إلى الإفهام بأسهل الطرق والأساليب.

3- تراجم لبعض الأعلام. (مخطوط).

4- ديوان الحماسة لأبي تمام [2](شرح وتحقيق). (مخطوط).

5- ديوان النابغة الذبياني[3](شرح وتحقيق). طبعته الدار التونسية للتوزيع سنة (1976م).

---

(1) مقدّمة في النحو: من تأليف خلف بن حيّان أبو محرز المعروف بالأحمر.

(2) هو حبيب بن أوس الطائي ، وُلِد بقرية يقال لها جاسم من أعمال دمشق ، ثم غادر إلى مصر ، كان أسمر اللون طويل القامة فصيحاً حلوَ الكلام ، فيه تَمْتَمَة يسيرة ، توفي : 231هـ .

(3) هو أبو أمامة ، زياد بن معاوية ، ولُقِّب بالنابغة لأنه لم يقل الشِّعْر حتى احتنك ، ثم فوجئ الناسُ بشِعْرٍ بذَّ به الشعراء ، وكان له مِنْه مادّة لا تنقطع فشبهوه بالماء النابع ، ت : 18 ق.هـ (المصدر السابق ، ص / 39).

6- ديوان سُحَيم[1](جمع وشرح). (مخطوط)

7 بشار بن برد "جمعه وشرحه وأتمه وعلق عليه".

8 الإيجاز على دلائل الإعجاز.

9 سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي(تحقيق).

10 الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني(تحقيق).

11 شرح معلقة أمرئ القيس.

12 غرائب الاستعمال.

* **المؤلفات الشرعية:**

1- أصول التقدم في الإسلام. طبعته الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت).

2- أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (1967م). وهذا الكتاب يتناول مشكلات التعليم وكيفية معالجتها في الوطن العربي.

3- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (1985م).

4- تفسير التحرير والتنوير. طبعته دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس سنة (1997م).

5- التوضيح والتّصحيح في أصول الفقه للقرافي[1]. طبعته مطبعة النهضة بتونس سنة (1341هـ).

(1) سُحيم عبدُ بني الحسحاس، شاعر، رقيق الشعر، أعجمي الأصل، قتله بنو الحسحاس وأحرقوه في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لتشبيبه بنسائهم، له ديوان شعر صغير. ينظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية، دط، دت، ج1، ص 187 و الشعر والشعراء، ابن قُتَيبة الدَّيْنَوَري، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1966، ص263.

والعنوان الكامل للكتاب هو: حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول.

6- قِصّة المولد. طبعته الدار التونسية للنشر سنة (1392هـ،1972م).

ويتناول هذا الكتاب السيرة النبويّة المباركة.

7- كَشْفُ المُغَطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطّأ. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (1975). وقد حوى هذا الكتاب تعليقات وإفادات قيّمة.

8- مقاصد الشريعة الإسلامية. طَبَعتْه الشركة التونسية للنشر والتوزيع سنة (1985).

وهذا الكتاب يعتبر من أهم المؤلفات في أصول الفقه.

9- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح[2]. طبعته الدار العربية للكتاب بتونس وليبيا سنة (1979م). وهذا الكتاب سار فيه على نمط كتابه (كشف المغطّى).

10- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم[3]. طبعته المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر سنة (1344هـ).

***المجلات**

1 المجلات العلمية:

- السعادة العظمى.

(1) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس ، شهاب الدين ، الصِّنْهاجِيّ القَرَافِيّ ، من علماء المالكية ، نسبته إلى قبيلة صِنْهاجَة من بَرَابِرَة المغرب، وإلى القَرَافَة المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقاهرة، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، وله مصنفات جليلة في الفقه والأصول، ت :684 هـ (الأعلام : 1 / 94)

(2) وهو المعروف باسم : الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) للإمام محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري (ت 256 هـ).

(3) ألَّفه علي عبد الرزاق، وقد حرص العلماء والمفكرون على الرد عليه، وذلك لأنه زعم فيه أن الخلافة ليست في أصول الشريعة، حتى إنه هاجم الخلفاء بما فيهم الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم ، إلى غير ذلك من المزاعم الباطلة.

- المجلة الزيتونية

2 المجلات الشرفية:

- هدى الإسلام
- نور الإسلام
- مصباح الشرق
- مجلة المنار
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

هذه مؤلفات ابن عاشور التي استطعنا حصرها، وقد تنوعت بين الدراسات المتخصصة في الشريعة الإسلامية والدراسات اللغوية والأدبية بين شرح وتحقيق و تعليق، وهذه المؤلفات مجتمعة تدل على غزارة علم ابن عاشور وتبحره، ويضاف إليها مساهمته بمقالاته في المجلات العربية داخل تونس وخارجها، وفي المؤسسات العامة أو المتخصصة، كالمجمع العلمي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. وقد كان ابن عاشور عضوا مراسلا فيهما[1]

وقد امتازت هذه المؤلفات عموما بالفائدة والآراء العلمية التي أخذت طابع التجديد بأسلوب رائع معتبر، فقد كانت مؤلفاته رحمه الله مليئة بالكنوز القيِّمة، ومن أجل هذه المؤلفات هو تفسيره (تفسير التحرير والتنوير) والذي كان له قيمة ومكانة علمية .

(1) المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حواس بري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص 38.

المطلب الثاني: شيوخه وأساتذته وتلاميذه.

تتلمذ الطاهر رحمه الله على أيدي ثلّة من العلماء الأجلاء، وأخذ منهم الكثير من العلوم، مثل عِلْم التفسير الذي هو أجل العلوم وأشرفها، وأخذ منهم أيضاً القراءات وعلوم الحديث والمصطلح وغيرها من العلوم الكثيرة، بل إن الطاهر رحمه الله توسع في طلبه العلم حتى أصبح إماماً في هذه العلوم .

فمِن هؤلاء العلماء الذين أخذ منهم الطاهر العلم:

أولا –شيوخه وأساتذته:

لقد تحمَّل الشيخ الطاهر بن عاشور –رحمه الله تعالى– العلم عن أعيان علماء تونس، وشيوخ جامع الزيتونة، ومنهم...

1. الشيخ أحمد بن بدر الكافي. تلقى عليه المبادئ الأولى في قواعد اللغة العربية اعتمادًا على شرح خالد الأزهري
2. الشيخ أحمد جمال الدين. قرأ عليه ابن عاشور"قطر الندى ويل الصدى" في النحو و "الدردير" في الفقه المالكي.
3. العلامة الشيخ سالم بوحاجب (1244–1342م)، وله منه إجازة. وقد قرأ لشيخ محمد الطاهر بن عاشور عليه "صحيح البخاري" بشرح القسطلاني، و"الموطأ" بشرح الشيخ الزرقاني قراءة تحقيق.
4. الشيخ محمد صالح الشريف (1285–1338هـ). وقرأ عليه الشيخ حمد الطاهر بن عاشور كتاب"شرح الشيخ خالد الأزهري على الآجرومية" و"قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام، و"المكودي على الخلاصة"في النحو.
5. الشيخ عبد القادر التميمي. تخرج عليه ابن عاشور في تجويد القرآن الكريم وعلم القراءات. وبخاصة في رواية قالون.

6. الفقيه المتكلِّم الشيخ عمر ابن الشيخ (1239-1329هـ)، وله منه إجازة.وقد أخذ عنه الشيخ الطاهر بن عاشور تفسير البيضاوي.

7. الشيخ عمر ابن عاشور. وأخذ عنه ابن عاشور"لامية الأفعال" وشروحها في الصرف، وتعليق الدّماميني على"المغني" لابن هشام في النحو، و"مختصر السعد" في البلاغة، و"الدّردير" في الفقه، "الدرّة" في الفرائض.

8. الشيخ المقرئ محمد الخياري. مقرئ، قرأ عليه ابن عاشور في مسجد أبي حديد القرأن الكريم، وحفظه على يديه، وكان قد توجه إليه في أوّل أمره، ويقع مسجده مجاورا لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس.

9. الشيخ محمد صالح الشاهد. قرأ عليه ابن عاشور "الدردير" في الفقه.

10.الشيخ محمد طاهر جعفر. قرأ عليه الشيخ الطاهر بن عاشور "شرح المحلّى على جمع الجوامع" في أصول الفقه و"شرح الشهاب الخفاجي على الشفا للقاضي" في السيرة النبوية.

11.الشيخ محمد العربي الدرعي. قرأ عليه الشيخ الطاهر بن عاشور "كفايةالطالب على الرسالة" في فقه المالكية.

12.العالم الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتُّور، وله منه إجازة.وهو جده للأم وهو الذي حرص عليه حرصا كبيرًا في بداية عمره الدراسي حتى بلغ أشده من العمر.وأصبح تلميذًا بارعا وفصيحا في اللغة والكلام.

13.الشيخ محمد بن عثمان النجار. درس عليه ابن عاشور كتاب "المكودي على الخلاصة في النحو"، ومختصر السعد في البلاغة و"الموفق في علم الكلام" بالاشتراك مع الشيخ محمد الخضر حسين، و"البيقونية في المصطلح".

14.الشيخ محمد النَّخلي. قرأ عليه ابن عاشور "قطر الندى وبل الصدى"و"المكودي على الخلاصة" و"مقدمة الإعراب في النحو" و"مختصر السعد في البلاغة"و"التهذيب في المنطق".

15.الشيخ محمود ابن الخوجه، وله منه إجازة. شيخ الإسلام، أجازه الشيخ بالرواية.

ولقد كان هؤلاء العلماء الذين تتلمذ عليهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –رحمه الله تعالى– ثمرة من ثمار المدرسة الإصلاحية التونسية، التي كان من زعمائها: الشيخ إبراهيم الرياحي، وإسماعيل التميمي، والوزير خير الدين باشا صاحب أقوم المسالك، والشيخ محمود قبادو، وكانت فرعًا مهمًا للمدارس الإصلاحية التي نشأت في العالم الإسلامي: كالمدرسة الدهلويَّة، والمدرسة الأفغانيَّة، ومدرسة الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–.

ثانيا –تلاميذه:

أما تلامذته –رحمه الله تعالى– فقد درَّس الشيخ محمد الطَّاهر بن عاشور كتبًا عالية في جامع الزيتونة، كأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للجُرجاني، ومقدمة ابن خلدون، وموطَّأ الإمام مالك، وكان أول من درَّس "ديوان الحماسة" فيه.

كما كان يقوم بتدريس الحديث النبوي الشَّريف في ليالي رمضان، وهذا كله جعل من تلامذته جمًّا غفيرًا من أهل تونس والجزائر ممَّن كانوا يقصدون الزيتونة، فكان منهم الأديب والفقيه والمؤرِّخ والصِّحافي والاقتصادي، وكبار الوزراء والكتَّاب، وممَّن عُرف بالتأليف، نذكر منهم...

1. الشيخ محمد الفاضل بن عاشور (رحمه الله):

فكان من أبرز المتخرجين على يديه ابنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور (1909م–1970م).

واسمه الشيخ محمد الفاضل، بن محمد الطاهر، بن الصادق عاشور، ينتمي إلى أسرة علمائية معروفة، ومشهورة في العالم الإسلامي، والده صاحب تفسير ـ التحرير والتنوير ـ وهو من كبار علماء المغرب الإسلامي (المغرب العرب). و كان عميدًا بالكلية الزيتونية للشريعة

وأصول الدين، ومفتيا للجمهورية التونسية من مؤلفاته: تراجم الأعلام، الحركة الأدبية والفكرية في تونس والتفسير ورجاله.

ومن مؤلفاته:

-الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1983.

-أركان النهضة الأدبية في تونس، مكتبة النجاح، تونس 1960.

-تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، تونس 1970.

-المصطلح الفقهي في المذهب المالكي.

-أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي.

-التفسير ورجاله.

2.حمد الصَّادق الشطِّي:(1312هـ-1364هـ). وهو محمد الصادق بن محمد الشطي ولد لد بمساكن بلدة الأشراف واستظهر القرآن وتلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية والفرائض والحساب، وحفظ كثيرا من المتون على المؤدّب في الكتّاب الذي لبث فيه ثماني سنوات. قرن الشيخ محمد الصادق بين التّدريس والتّأليف. وكتب في علم الفرائض الذي برع فيه وفي علوم التّربية وفي الفقه، وتوفي سنة 1364هـ

3.أبو الحسن ابن شعبان (1315-1383هـ).(1897-1963م):

ولد **أبو الحسن بن شعبان** بتونس سنة1897 نشأ في أسرة تقيّة ذات تقاليد صوفية متوارثة. وظهر نبوغه باكرا وأصبحت الصحف التّونسيّة تلمح بقصائده حتّى قبل إتمام دراسته وتخرّجه في جامع الزيتونة سنة 1915.

وكان **أبو الحسن بن شعبان** شاعرا محافظا مقلّدًا في أسلوبه وموضوعاته ومواقفه الفكريّة. ففي وطنه، يكاد لا يهملُ حدثا ذا شأن، مادحا الرّجال العاملين في حقل الحياة العامّة، مهنّئا أصدقاءه ومعارفه برتبة أو وظيفة، راثيا من مات منهم بدافع عاطفي أو وطنيّ، مشاركا في النّوادي والجمعيّات الثّقافيّة، مستقبلا الوفود التي تأتي إلى تونس في

مهمّة أدبيّة أو علميّة، محرّضا على الاكتتاب في لجان الإسعاف والإغاثة، ناظما الأناشيد الحماسيّة لتغذية النّزعة الوطنيّة في الشّباب.

كان الشعر عنده وسيلة لخدمة الأخلاق والمجتمع قبل أن يكون فنّا وابتكارا.**وتوفيّ بها في 11 ماي 1963.**

4.علي بن محمد البوديلمي:ولد الأستاذ الشيخ سيدي علي البوديلمي في 15جوان 1909م بالمسيلة، وهو ابن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله شيخ الطريقة الرحمانية الخلوتية بن عبد القادر بن بوزيان بن مبارك بن الموهوب، الذي يتصل نسبه بالقطب الكبير المشهود له بالشرف والصلاح، سيدي محمد بن عزوز الديلمي العلامة الشهير المذكور في البستان من علماء تلمسان|قرأ الأستاذ المذكور القرآن، وجمعه في السابعة من عمره في زاوية أبيه، وتلقى مبادئ العلوم عن والده، وعن جماعة من العلماء المتعاقبين بالزاوية، ثم انتقل إلى المعهد القاسمي ببوسعادة، فمكث فيه نحو سنة، ثم ارتحل إلى قسنطينة فزاول دروسه على رجال فطاحل في العلم، كالأستاذ عبد الحميد ابن باديس، نحو سبع سنوات ونصف، وولي الله العالم الشيخ أحمد الحبيباتني، والعلامة السيد الزواوي الفاكون، والفقيه الشيخ الطاهر ذكوطة، والشيخ يحي الدراجي، فلازم هؤلاء المشايخ سنين عديدة بجد واجتهاد متوال، حتى تحصل منهم على الإذن التام، وأجازوه بخطوط أيديهم، ثم هاجر مرة أخرى إلى تونس لجامع الزيتونة، فاستكمل معارفه هناك، على مشايخ إختارهم لنفسه، وواضب على مجالسهم، كالأستاذ مناشو، والأستاذ بن القاضي، والأستاذ أبى الحسن النجار، والأستاذ الزغوتيني، والأستاذ بالخوجة، والأستاذ المختار بن محمود، والأستاذ شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور التفسير سنوات عديدة.

5.عبد الحميد بن باديس:

هو الإمام عبد الحميد بن باديس (1307-1358هـ) الموافق لـ:(04 ديسمبر 1889 ـ16أبريل1940)من رجال الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بدأ حياة التعلم في الكتاب القرآني على الشيخ محمد المداسي حتى حفظ القرآن عليه، ختم عبد الحميد بن باديس حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة عاما على يد الشيخ محمد المداسي و من شدة إعجاب الشيخ بجودة حفظه، وحسن سلوكه، قدمه ليصلي بالناس التراويح في رمضان بالجامع الكبير سنتين أو ثلاثا، وتلقى مبادئ العلوم العربية والإسلامية بجامع سيدي عبد المؤمن على مشايخ أجلاء من أشهرهم العالم الجليل الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني ابتداء من عام 1903 وهو من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني، ولا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له: "اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة"، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا.

وفي سنة (1327 هـ - 1908 م) التحق الشيخ عبد الحميد بجامع الزيتونة، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها الأجلاّء، وفي طليعتهم زعيم النهضة الفكرية والإصلاحية في الحاضرة التونسية العلاّمة «محمّد النخلي القيرواني» المتوفى سنة: (1342 هـ - 1923 م)، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة: (1393 هـ - 1973 م)، فضلاً عن مربين آخرين من المشايخ الذين كان لهم تأثير في نمو استعداده، وتعهّدوه بالتوجيه والتكوين، كالبشير صفر، وسعد العياض السطايفي، ومحمّد بن القاضي وغيرهم، وقد سمحت له هذه الفترة بالاطلاع على العلوم الحديثة وعلى ما يجري في البلدان العربية والإسلامية من إصلاحات دينية وسياسية، في مصر وفي الشام وغيرهم، ممّا كان لهذا

المحيط العلمي والبيئة الاجتماعية، واللأزمات المستمرّة لرجال العلم والإصلاح الأثر البالغ في تكوين شخصيته ومنهاجه في الحياة [1].

6.محمد الشاذلي النَّيفر (1330-1418هـ):

هو الشيخ محمّد الشاذلي ابن قاضي الجماعة الشيخ محمّد الصادق النّيفر.

ولم تسمح الظروف للشيخ **الشاذلي النيفر** بمتابعة دروس الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور،ولكنّه حصل منه على إجازة في الحديث. وقد استرعى انتباه شيوخه وأقرانه في مراحل التعلم المختلفة بإقباله على العلم وقدرته على الاستيعات وحسن سلوكه ودماثة أخلاقه.

7.زين العابدين بن الحسين:

الشيخ **زين العابدين بن الحسين التونسي**(1888-1977) م ولد في مدينة تونس العاصمةقام بتأليف ما يقارب العشرين مؤلفاً بين كتاب ورسالة. من أهمها:

دروس الوعظ والإرشاد

الدين والقرآن

القرآن القانون الإلهي

المعجم في القرآن

الأربعون الميدانية

ذكرى المولد النبوي

المعجم المدرسي

المعجم في النحو والصرف

(1) نبذة عن حياة الشيخ عبد الحميد ابن باديس نسخة محفوظة 03 مايو 2017 على موقع واي باك مشين.

المطلب الثالث: تأثره بمفكري عصره.

لقد أطنب العلماء والباحثون في الثناء على الشيخ الجليل الطاهر بن عاشور – رحمه الله تعالى– وشمل الثناء عليه التذكير بعلمه وأخلاقه، ونحن هنا نحاول أن نسوق طرفًا من الثناءات على علمه فقط، فهذا ما يخصنا هنا...

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

وصفه العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي –رحمه الله تعالى– قائلاً: "عَلَم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحِّر في العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحمّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقْرَأ، وأفاد، وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي" [1].

الشيخ محمد الخضر حسين:

قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين – شيخ الجامع الأزهر –رحمه الله تعالى–: "... وللأستاذ فصاحةُ منطقٍ، وبراعةُ بيانٍ، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر: صفاءَ الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لسانًا لهجته الصدق... وهمَّةً طمَّاحة إلى المعالي، وجِدًّا في العمل لا يَمَسه كللٌ، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"[2].

(1) البشير الابراهيمي، مجلة المنهل العدد 515. المجلد 55 عدد ذو الحجة1414هـ/ماي1914.

(2) محمد الخضر حسين، شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس، مجلة الهداية الإسلامية عدد شوال 1351هـ، ص118.

وقال عنه الأستاذ: محمد عبد المنعم الخفاجي:

"وبحق كان الإمام بن عاشور من أئمة رجال الدين، وشيوخ الإسلام، متمكنا في علوم الشريعة والأدب وفي الأصول والفروع حتى عدّ إمام عصره وشيخ دهره، وتصدر جيله وصار مقصد الناس"[1] .

وقال عنه الداعية الشيخ محمد الغزالي: "هو رجل القرآن الكريم، وإمام الثقافة الإسلامية المعاصرة... الرجل بدأ يتكلم عن اللغة، ويتكلم بها أديباً.. أقرأ كلماته في التحرير والتنوير فأستغرب لأنه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفة، وحرر الجملة العربية من بعض الخبات الذي أصابها في أيام انحدار الأدب في عصوره الأخيرة. ولكن الرجل لم يلق حظه... ابن عاشور لا يمثل صورة من اللحم والدم، إنما يمثل تراثاً أدبياً علمياً عقائدياً أخلاقياً"[2]

ويقول محمد الطاهر الميساوي:

في مقدمته على كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور –رحمه الله تعالى–: "إن ابن عاشور ليس اسمًا عاديًّا في محيط الثقافة الإسلامية، بل إن اسمه وجهاده قد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا بواحدة من أهم مؤسسات هذه الثقافة، وبرمز من أبرز رموزها في النصف الأول من القرن العشرين، ألا وهي جامعة الزيتونة.

وهو –بدون شك– آخر العمالقة الذين عرفهم التاريخ المديد لهذه المؤسسة العريقة* .

الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة:

وصفه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة فقال: "كان فريدًا مع تقدّم السنّ في حضور واستحضار ما يسأل عنه من مسائل؛ أذكر أنّني طلبتُ منه ذات يوم من شهر أغسطس سنة 1963م، بعد أن جلستُ إليه في زيارتي له بعد العصر عن وجه إعراب خفي

(1)عبد المنعم خفاجي، الشيخ ابن عاشور، مجلة المنهل، العدد 449. مجلد 4، ص

(2) محمد الغزالي، مجلة الوعي الإسلامي عدد 28، أفريل 1986، السنة الحادية عشرة، ص44.

عليّ، فإذا الإمام –رحمة الله عليه– يفيض في بيان ذلك، ويشرح الوجوه المختلفة، فيستشهد بما أوردهُ ابن هشام في "المغني" وفي "التصريح"، وكأنه يقرأ في كتاب.

وكذلك كان شأنه في كلِّ ما يُسأل عنه من قضايا العلم اللغوي أو الشرعي، كان خزانة علم تتنقل، يجد لديه كل طالب بغيته، أعانه على حصول ذلك وبلوغ المرتبة العالية العجيبة في اشتغاله المتواصل بالمراجعة والتدريس والتحقيق والتأليف، مع صحة ذهن، وجودة طبع، وقوة عارضة، وطلاقة لسان.

ويقول فيه أيضًا:

"هو نمطٌ فريد من الأشياخ، لم نعرف مثله بين معاصريه أو طلابه، أو من كان في درجتهم من أهل العلم؛ إذ كان انكبابه على الدرس متميّزًا، واشتغاله بالمطالعة غير منقطع، مع عناية دائمة مستمرة بالتدوين والكتابة، وتقديم ما يحتاج إليه الناس من معارف وعلوم، وأذواق وآداب، وملاحظات وتأملات؛ فلا بدع إذا اطّرَدتْ جهودُه، واستمرّ عطاؤه في مختلف مجالات الدرس والثقافة: في حقول المعرفة الشرعية الدينية، وفي الدراسات اللغوية، وفي معالجة أوضاع التعليم في الزيتونة، والعمل على إصلاحها، مع ذبّه عن الإسلام أصوله وآدابه، وتطلعه كل يوم إلى مزيدٍ من المعرفة بكلّ ما يمكن أن يقع تحت يده من كتب فريدة، ومخطوطات ومصنفات في شتّى العلوم والفنون. (1)

وقد وهبه الله متانة علمٍ، وسعة ثقافة، وعمق نظر، وقدرة لا تفتر على التدوين والنشر، وملكات نقدية يتضح أثرها في طريقة الجمع بين الأصول والتعريفات، وما يلحق بها من ابتداعات وتصرفات.

وهكذا صدرت مقالاته وتحقيقاته، وبحوثه وتآليفه متدفقة متوالية من غير انقطاع أو ضعف، فَنُشِر ما نُشِرَ، وبقي الكثير منها محفوظًا بخزانة آل عاشور ينتظر من يتولى نشره وطبعه وتحقيقه".

(1) مقالات الشيخ الطاهر بن عاشور، محمد الحبيب بن الخوجة، ج315/1.

أبو الحسن بن شعبان:

ومن لطائف ذكائه –رحمه الله تعالى– ما ذكره تلميذه أبو الحسن بن شعبان الأديب الشاعر؛ حيث حكى عن نفسه أنه كان يحضر دروس العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في "الموطأ"، وهو إذ ذاك شيخ الزيتونة، وشيخ الإسلام المالكي حوالي عام (1933م)، وفي ذات مرة ناقش الشيخ ابن عاشور في مدلول لفظة لغوية، والشيخ ابن عاشور متمكِّن في مادة اللغة، متثبت في نقله، مع سمو ذوق وقدرة على الترجيح بين الأقوال، في أسلوب علمي وحُسن عرض، ولما طالت المناقشة أراد المترجم أن يفحم الشيخ ابن عاشور؛ فاخترع لوقته شاهدًا شعريًّا على صحّة زعمه، فأجابه الشيخ ابن عاشور بديهةً، ومن الوزن والرويّ نفسه:

يروون من الشعر ما لا يوجدففغر فاه مبهوتًا من شدة ذكاء الشيخ، وسرعة بديهته*.

وقال عنه الأستاذ محمد مسعود جبر:

"رأيتُ فيه شيخًا مهيبًا، يمثل امتدادًا للسلف الصالح في سمته، ودخل على عقده العاشر، ولم تنل منه السنون شيئًا... وذهن متفتّح يُشقّق الحديث روافد، مع وقارٍ يُزيّنه، وفضلٍ يبيّنه، وأخلاق وشمائل حسنة تهَشّ للأضياف وترحب بالوارد، وتعطي في عمقٍ لمن يريد الاغتراف من بحرٍ كثرت مياهُه، وقد ازدحمت العلوم فيه"*.

وقد وصف ابن عاشور نفسه بقوله:

"ولا آنَسُ برفقة ولا حديثٍ أُنْسي بمسامرة الأساتيذ والإخوان في دقائق العلم ورقائق الأدب، ولا حُبِّبَ إليّ شيء ما حُبّبت إليّ الخلوة إلى الكتاب والقرطاس متنكّبًا كلَّ ما يجري من مشاغل تكاليف الحياة الخاصة، ولا أعباء الأمانات العامة التي حُمِّلتُها فاحتملتُها في القضاء وإدارة التعليم حالت بيني وبين أنسي في دروس تضيء منها بروق البحث الذكي، والفهم الصائب بيني وبين أبنائي الذين ما كانوا إلاَّ قرَّة عين وعدّة فخر، ومنهم اليوم علماء بارزون، أو في مطالعة تحارير أخلص فيها نجيًّا إلى الماضي من العلماء والأدباء الذين

خلَّفوا لنا آثارهم الجليلة ميادين فسيحة ركضنا فيها الأفهام والأقلام مرامي بعيدة سدَّدنا إليها صائب المهام"*.

المطلب الرابع: إصلاحاته وتطور العلوم في عصره.

أولا: إصلاحاته ورؤيته للإصلاح

وجاء مولد الطاهر في عصر يموج بالدعوات الإصلاحية التجديدية التي تريد الخروج بالدين وعلومه من حيز الجمود والتقليد إلى التجديد والإصلاح، والخروج بالوطن من مستنقع التخلف والاستعمار إلى ساحة التقدم والحرية والاستقلال، فكانت لأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا صداها المدوي في تونس وفي جامعة العريق حتى إن رجال الزيتونة بدءوا بإصلاح جامعهم من الناحية التعليمية قبل الجامع الأزهر، مما أثار إعجاب الإمام محمد عبده الذي قال:"إن مسلمي الزيتونة سبقونا إلى إصلاح التعليم، حتى كان ما يجرون عليه في جامع الزيتونة خيرا مما عليه أهل الأزهر."

وأثمرت جهود التجديد والإصلاح في تونس التي قامت في الأساس على الاهتمام بالتعليم وتطويره عن إنشاء مدرستين كان لهما أكبر الأثر في النهضة الفكرية في تونس، وهما: المدرسة الصادقية التي أنشأها الوزير النابهة خير الدين التونسي سنة (1291هـ-1874م) والتي احتوت على منهج متطور امتزجت فيه العلوم العربية باللغات الأجنبية، إضافة إلى تعليم الرياضيات والطبيعة والعلوم الاجتماعية. وقد أقيمت هذه المدرسة على أن تكون تعضيدا وتكميلا للزيتونة.

أما المدرسة الأخرى فهي المدرسة الخلدونية التي تأسست سنة (1314هـ-1896م) والتي كانت مدرسة علمية تهتم بتكميل ما يحتاج إليه دارسو العلوم الإسلامية من علوم لم تدرج في برامجهم التعليمية، أو أدرجت ولكن لم يهتم بها وبمزاولتها فآلت إلى الإهمال.

وتواكبت هذه النهضة الإصلاحية مع دعوات مقاومة الإستعمار الفرنسي وكانت أطروحات تلك الحقبة من التاريخ ذات صبغة إصلاحية تجديدية شاملة تنطلق من الدين نحو إصلاح الوطن والمجتمع، وهو ما انعكس على تفكير ومنهج رواد الإصلاح في تلك الفترة التي تدعمت بتأسيس الصحافة، وصدور المجالات والصحف التي خلقت مناخا ثقافيا

فكريا كبيرا ينبض بالحياة والواعي والرغبة في التحرر والتقدم. وحفظ الطاهر القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة سنة (1310هـ-1892م) وهو في الرابعة عشرة من عمره، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همة عالية في التحصيل، وساعده على ذلك ذكاؤه النادر والبيئة العلمية الدنية التي نشأ فيها، وشيوخه العظام في الزيتونة الذين كان لهم باع كبير في النهضة العلمية والفكرية في تونس، وملك هاجس الإصلاح نفوسهم وعقولهم فبثوا هذه الروح الخلاقة التجديدية في نفس الطاهر، وكان منهجهم أن الإسلام دين فكر وحضارة وعلم ومدنية.

ثانيا: خبرته في التدريس

وبعد تخرج الطاهر بن عاشور في الزيتونة عام (1317هـ-1896م)، والتحق بسلك التدريس في هذا الجامع العريق، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عين مدرسا من الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (1324هـ-1903م).

وكان الطاهر قد اختير للتدريس في المدرسة الصادقية سنة (1321هـ-1900م)، وكان لهذه التجربة المبكرة في التدريس بين الزيتونة-ذات المنهج التقليدي-والصادقية -ذات التعليم العصري المتطور -أثرها في حياته، إذ فتحت وعيه على ضرورة ردم الهوة بين تيارين فكريين ما زالا في طور التكوين، ويقبلان أن تكونا خطوط انقسام ثقافي وفكري في المجتمع التونسي، وهما: تيار الأصالة الممثل في الزيتونة، وتيار المعاصرة الممثل في الصادقية، ودون آراءه هذه في كتابه النفيس "أليس الصبح بقريب؟" من خلال الرؤية الحضارية التاريخية الشاملة التي تدرك التحولات العميقة التي يمر بها المجتمع الإسلامي والعالمي.

وفي سنة (1321هـ-1903م) قام الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية بزيارته الثانية لتونس التي كانت حدثا ثقافيا دينيا كبيرا في الأوساط التونسية، والتقاه في تلك الزيارة الطاهر بن عاشور فتوطدت العلاقة بينهما، وسماه محمد عبده ب "سفير الدعوة" في جامع

الزيتونـة؛ إذ وجـدت بـين الشـيحين صـفات مشـتركة، أبرزهـا ميلهمـا إلـى الإصـلاح التربـوي والاجتمـاعي الـذي صـاغ ابـن عاشـور أهـم ملامحـه بعـد ذلـك فـي كتابـه "أصـول النظـام الاجتماعي في الإسلام". وقد توطدت العلاقة بينه وبين رشيد رضا، وكتب ابن عاشور في مجلة المنار.

ثالثا: رؤيته الإصلاحية العلمية والتربوية.

ولمـا عـين الطـاهر بـن عاشـور نائبـا أول لـدى النظـارة العلميـة بجـامع الزيتونـة سـنة (1325هـ-1907م)،بـدأ فـي تطبيـق رؤيتـه الإصـلاحية العلميـة والتربويـة، وأدخـل بعـض الإصلاحات على الناحية التعليمية، وحرر لائحة في إصلاح التعليم وعرضها على الحكومة فنفذت بعض ما فيها، وسعى إلى إحياء بعض العلوم العربية؛ فأكثر من دروس الصرف في مراحل التعليم وكذلك دروس أدب اللغة، ودرس بنفسه شرح ديوان الحماسة لأبي تمام.

وأدرك صاحبنا أن الإصلاح التعليمي يجب أن ينصرف بطاقته القصوى نحو إصلاح العلوم ذاتها؛ على اعتبار أن المعلم مهما بلغ به الجمود فلا يمكنه أن يحول بين الإفهام وما في التآليف؛ فإن الحق سلطان.

ورأى أن تغير نظام الحياة في أي من أنحاء العالم يتطلب تبدل الأفكار والقيم العقلية ويستدعي تغيير أساليب التعليم. وقد سعى الطاهر إلى إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي في المدن الكبيرة في تونس على غرار ما يفعل الأزهر في مصر، ولكنه قوبل بعراقيل كبيرة.

أما سبب الخلل والفساد اللذين أصابا التعليم الإسلامي فترجع في نظره إلى فساد المعلم، وفساد التآليف، وفساد النظام العام؛ وأعطى أولوية لإصلاح العلوم والتآليف.

اختير ابن عاشور في لجنة إصلاح التعليم الأولى بالزيتونة في (صفر 1328هـ-1910م)، وكذلك في لجنة الإصلاح الثانية (1342هـ-1924م)، ثم اختير شيخا لجامع الزيتونة في (1351هـ-1932م)، كما كان شيخ الإسلام المالكي؛ فكان أول شيوخ الزيتونة الذين جمعوا بين هذين المنصبين، ولكنه لم يلبث أن استقال من المشيخة بعد سنة ونصف

بسبب العراقيل التي وضعت أمام خططه لإصلاح الزيتونة، وبسبب اصطدامه ببعض الشيوخ عندما عزم في إصلاح التعليم في الزيتونة.

أعيد تعيينه شيخ لجامع الزيتونة سنة (1364هـ-1945م)، وفي هذه المرة أدخل إصلاحات كبيرة في نظام التعليم الزيتوني؛ فارتفع عدد الطلاب الزيتونيين، وزادت عدد المعاهد التعليمية.

وشملت عناية الطاهر بن عاشور إصلاح الكتب الدراسية وأساليب التدريس ومعاهد التعليم؛ فاستبدل كثيرا من الكتب القديمة التي كانت تدرس وصبغ عليها الزمان صبغة القداسة بدون مبرر، واهتم بعلوم الطبيعية و الرياضيات، كما راعى في المرحلة التعليمية العالية التبحر في أقسام التخصص، وبدأ التفكير في إدخال الوسائل التعليمية المتنوعة.

وحرص على أن يصطبغ التعليم الزيتوني بالصبغة الشرعية و العربية، حيث يدرس الطالب الزيتوني الكتب التي تنمي الملكات العلمية وتمكنه من الغوص في المعاني؛ لذلك دعا إلى التقليل من الإلقاء و التلقين، وإلى الإكثار من التطبيق؛ لتنمية ملكة الفهم التي يستطيع من خلالها الطالب أن يعتمد على نفسه في تحصيل العلم .

ولدى استقلال تونس أسندت إليه رئاسة الجامعة الزيتونة سنة (1374هـ_1956م).

رابعا: تطور العلوم في عصره.

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب" إيذانا منه بقرب النصر واستعادة الأمة مجدها وتخلصها من المستعمر الفرنسي الذي باغتها في عقر دارها_ :

"رأيت الذي يطمع في البحث عن موجبات تدلي العلوم يرمي بنفسه إلى متسع ربما لا يجد منه مخرجا في أمد غير طويل، وأيقنت أن لأسباب تأخر المسلمين عموما رابطة

وثيقة بأسباب تأخر العلوم" [1] . أحس الشيخ ابن عاشور بقيمة العلم في سبيل نهوض الأمة وحاول من خلال كتابه المذكور أن يقدم بديلا لما ساد في أوساط لجامع المعمور من مناهج لتدريس الطلبة العلوم الشرعية التي توارثها الأجيال أبا عن جد دون نظر وإعمال للرأي ومكنت الغرب بالتالي من استحكام سيطرته على العالم الإسلامي والقطر التونسي جزء منه.

وقبل أن يسرد سببين رئيسيين لتأخر العلوم ويزيد عليهما خمسة عشر سببا فرعيا، قدم نظرته إلى العلوم ورسم منهجه في التعامل مع العلم وأطواره، فقسم العلوم قسمين من جهة ثمرتها :

1_ ما تنشأ عنها ثمرة هي من نوع موضوعات مسائلةّ، كعلم النحو فثمرته تجتنى منه وهي ثمرة لفظية محضة.

2_ ما يبحث عن أشياء لا لذاتها بل لاستنتاج نتائج عنها مثل علم التاريخ و الفلسفة

والهندسة النظرية وأصول الفقه وغيرها، فبالتاريخ يستعين مزاوله على حقل التجارب وتجنب مضار الحضارات والأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة، والفلسفة تنير العقل وتدربه على فتح أبواب الحقائق وهاته الأشياء لا تقرأ في الفلسفة وإنما يتعودها الذهن في ضمن ممارسته ومثل ذلك علم البلاغة وجميع العلوم البرهانية النظرية، وأصول الفقه في فلسفة الاستنباط.

ويضيف في كتابه "أليس الصبح بقريب" ليقول كلمته الحاسمة في التعامل مع العلوم بمنطق النقد والتطوير دون الخروج عن أدب الالتزام بمناهج القدماء من سلف الأمة، فيقول: "وإن أطوار العلوم في الأمة تشبه أطوارها في الأفراد ذلك أن العلم في الأمة كما هو في الفرد له أربعة أطوار:

(1) أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، تونس، ط1، 2006 ص 175.

1_ طور الحفظ والتقليد والقبول للمسائل كما هي من غير انتساب بعضها من بعض ولا تفكر في غايتها بل لقصد العمل.

2_ طور انتساب بعضها من بعض وتنويعها والانتفاع ببعضها في بعض.

3_ طور البحث في عللها وأسرارها وغاياتها.

4_ الحكم عليها باعتبار تلك العلل بالتصحيح والنقد وهو طور التضلع والتحرير".

خامسا: تطبيق رؤيته الإصلاحية والعلمية.

عزز موقف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بتسميته شيخا للإسلام المالكي سنة 1932م ثم بتكليفه في شهر سبتمبر من نفس السنة 1932م بهام شيخ مدير الجامع الأعظم وفروعه فتيسر له الشروع في تطبيق آرائه الإصلاحية التي كانت شغله الشاغل[1] إلا أن الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضده من طرف معارضه "الزيتونيين" من المتحفظين على خطواته الإصلاحية من جهة وأعدائه وخصومه السياسيين "زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد" الذين شعروا بنفوذه وقبوله من طرف كل المحطين به والدور الذي يمكن أن يلعبه في سحب البساط من تحت أرجلهم[2] من جهة ثانية جعلته يقدم استقالته في سبتمبر السنة الموالية 1933م.وفي سنة 1364هـ_1945م عين مرة ثانية شيخا للجامع الأعظم وفروعه وقوبلت عودة الشيخ بحماس فياض من طرف الأوساط الزيتونية والرأي التونسي بصفة عامة واهتز المعهد الزيتوني وفروعه سرورا فانتظمت عدة تظاهرات تكريما وارتياحا لعودة الشيخ بالعاصمة ومنها الاستقبال لحار الذي خصته به فروع سوسة والقيروان وصفاقس بمناسبة الزيارة التفقدية التي قام بها الشيخ ابن عاشور في ماي 1945م فور

(1) جامع الزيتونة المعلم ورجاله _ محمد العزيز ابن عاشور، الطبعة الأولى ، الدار العربية للكتاب، تونس1980 ، ص115.

(2) انظر المصدر السابق _ حيث حاكوا له الدساس بسبب مواقف أتهم باطلا اتخاذها فيما يسمى بقضية التجنيس-.

تسميته من جديد على رأس إدارة التعليم الزيتوني فانطلقت ألسنة الأدباء والشعراء بالقصائد الحماسية والأناشيد.[1]

واستأنف الشيخ تطبيق برنامجه الإصلاحي فجعل الفروع الزيتونية تحت مراقبة إدارة مشيخة الجامع رأسا بعدما كانت ترجع شؤونها بالنظر إلى السلط الشرعية الجهوية. كما زاد الشيخ ابن عاشور في عدد الفروع الزيتونية الذي ارتقى في مدة سبع سنوات (1949_1956م) من ثمانية إلى خمس وعشرين (منها اثنان للفتيات في تونس وصفاقس) وصار عدد تلامذة الزيتونية وفروعها يناهز العشرين ألف تلميذ في حدود 1956م[2].

كما امتدت شبكة فروع الزيتونة إلى القطر الجزائري بإنشاء فرعين في مدينة قسنطينة [3] .

وحرص الشيخ ابن عاشور على أن يحسن من أوضاع الطلبة المعيشية والاجتماعية لهم لما له قيمة في رفع معنويات الطلبة الزيتونيين إزاء إخوانهم الميسرين، وأمام الضغوط من حولهم على القضاء على التعليم الزيتوني [4]والحيرة التي كان عليها أغلب أبناء الزيتونة والآفاق التي يمكن أن يرسموها لمستقبلهم، فأنشئت مطابخ ببعض المدارس مكنت الطلبة من تناول الطعام ثلاث مرات في اليوم بأسعار زهيدة. إلا أن ذلك لم يكن شيئا يذكر أمام البنايات القديمة وضعف مالية إدارة المشيخة وهي حقيقة عاشها كل الزيتونيين.

وتجدر الإشارة إلى أن سلط الحماية حاولت تعطيل إنجاز برنامج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بطرق متنوعة منها مقاومة إنشاء الفروع ...وقد زاد تفاقم وضع الظروف

(1) أنشد تلاميذه أناشيد مؤثرة منها ما أنشده صغار تلاميذه فروع سوسة: – أها الطاهر أهلا ابن عاشور وسهلا_ قد حللت الصفو حلا– وجرى الدمع السرور _ أنت لعين ضياء _ في أهتداءةارتياء_ ياوريث الأنبياء ، أنت للعمر نور (...).

(2) في هذه السنة حصلت تونس على استقلالها ، وأصبح بورقيبة والحزب الدستوري يباشرون الحكم، مما سيخيف ذا الأخير المد الزيتوني الذي أحدثه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور .

(3) جامع الزيتونة المعلم ورجاله _ محمد العزيز ابن عاشور ص123.

(4) دراسة مشروع مارشوال _ كراسات تونسية سنة 1986 مختار ياشي

السياسية في البلاد وانعكاسها على الأوساط الزيتونية انعكاسا تسبب في اضطراب داخل الجامع.

وبسبب تمسك الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بمبدأ عدم الاستجابة لرغبة الأحزاب السياسية فاشتد الخلاف بينه وبين الوزارة في سنة 1950م [1] ، خصوصا إثر رفض الشيخ ابن عاشور لطلب تلك الوزارة بطرد بعض الطلبة أعضاء صوت الطالب الزيتوني[2] المناهض للحزب.

وقد قررت السلطة إبعاد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عن مباشرة وظيفته مع إبقائه في خطته وتكليف الشيخ علي النيفر بإدارة المشيخة. وفي سنة 1956م عاد الشيخ ابن عاشور إلى مباشرة شؤون التعليم الزيتوني بعنوان شيخ عميد للجامعة الزيتونة من سنة 1956 إلى 1960م تاريخ القضاء على الزيتونة والتعليم الزيتوني.

(1) جامع الزيتونة المعلم ورجاله _ محمد العزيز ابن عاشور ص124.

(2) منظمة طلابية نقابية أسست سنة 1950م لها تاريخ عريق في التصدي لأعداء الزيتونة وعرف محمد البدوي كأهم الوجوه لها.

المبحث الثالث:

أهمّ مؤلفاته (التحرير والتنوير)

المطلب الأول: تعريفه وأهميته

المطلب الثاني: مكانته بين التفاسير

المطلب الأول: تعريفه وأهميته

1- تمهيد:

لقد ترك ابن عاشور موروثا ضخما في مختلف أنواع المعارف الشرعية واللغوية وغيرها، فهو كما وصفوه "خزانة علم تتنقل يجد لديه كل طالب بغيته" فخلف مؤلفات في التفسير، والحديث، والفقه وأصوله، والأدب والنقد والبلاغة، والسير والتراجم، والاجتماعيات، وهو بين مطبوع ومخطوط، وتجاوزت الأربعين مؤلفا، بالإضافة إلى مقالاته المتنوعة في مختلف المجلات والجرائد.

ورأس هذه المصنفات تفسير القرآن الكريم(العظيم) المسمى بـ: "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد واختصره باسم "التحرير والتنوير" وهو موضوع البحث وقد قضى الشيخ في تصنيفه قرابة الأربعين عامًا ميلاديًا وتجاوزها هجريًا.

وإن المقدم على كتاب التحرير والتنوير ليتهيب وقاره بين الرفوف. تهيبه سعة مادته، فالقارئ يجد نفسه بين علوم العربية وعلوم القرآن وعلم الحديث وعلوم الأحياء والطبيعة، وعلم الكلام والفلسفة وغيرها مما ورد على سبيل الاستمداد أو غير هذه السبيل، وهذه الوفر في المعارف والعلوم تكشف سعة اطلاع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وموسوعيةثقافته وقدرته على التعامل مع مختلف العلوم والمعارف في حرص على صرامة المنهج وقصدية التفسير والتأويل[1]

لقد ابتدأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور تفسيره "التحرير والتنوير من التفسير" بتقديم مقدمات تكون عونا للباحث في التفسير وتغنيه عن معاد كثير.

(1) الفهرس الكبير لكتاب التحرير والتنوير، محفوظ غزال، مطبعة الناجوري، تونس، ط1، أفريل 2006، ص06

فالمقدمة الأولى في التفسير والتأويل وكون التفسير علما والمقدمة الثانية في استمداد علم التفسير، والمقدمة الثالثة في صحّة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه، والمقدمة الرابعة فيما يحق أن يكون غرض المفسر. والمقدمة الخامسة في أسباب النزول. والمقدمة السادسة في القراءات العشر هي كالتالي:

1-قراءة نافع بن أبي نعيم المدني(أبو نؤيم نافع بن عبد الرحمان ت 169هـ/785م).

2- قراءة عبد الله بن كثير المكي(أبو معبد عبد الله بن كثير ت 120هـ/737م).

3- قراءة أبي عمر المازني البصري(أبو عمرو زيان بن العلاء ت154هـ/770م).

4- قراءة عبد الله بن عامر الدمشقي(أبو عمران عبد الله بن عامر ت118هـ/736م).

5- قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي(أبو بكر عاصم بن بهدلة ت127هـ/744م).

6- قراءة حمزة بن حبيب الكوفي(أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات ت156هـ/772م).

7- قراءة الكسائي علي بن حمزة الكوفي(أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي ت 189هـ/804م).

8- قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي(أبومحمد يعقوب بن اسحاق ت205هـ/820م).

9- قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني(يزيد بن القعقاع المخزومي ت130هـ/747م).

10- قراءة خلف البزار الكوفي(أبو محمد خلف بن هشام الجزار ت229هـ/843م).

وأما المقدّمة السابعة في قصص القرآن. والمقدمة الثامنة في اسم القرآن وآياته وسورة وترتيبها وأسمائها. والمقدمة التاسعة في أنّ المعاني التي تتحمّلها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها. والمقدمة العاشرة في مجاز القرآن الكريم.

2-كتاب التحرير والتنوير.

أعرض في حديثي عن التحرير والتنوير لأربع نقاط بإيجاز شديد، والاكتفاء بالإحالة إلى مواضع التفصيل في الدراسات التي سبقتني في تناول تفسير ابن عاشور وهي:

الأولى: أهميته.

الثانية: قيمته.

الثالثة: مصادره.

الرابعة: طريقة ابن عاشور في عرضه.

أ- **أهمية الكتاب:**

نستطيع أن نبرز أهمية التحرير والتنوير في النقاط الآتية:

أولا: ثقل مؤلفه، فهو -كما سبق أن أشرت- من العلماء الثقات الذين شهد لهم أهل العلم بالفضل والثناء.

ثانيا: تأخر تصنيفه زمنيا إذ يعد آخر الكتب المعتمدة عند أهل العلم كتفسير لكتاب الله. وعنصر الزمان أتاح لمصنفه الاطلاع على جهود سابقيه في مجال التفسير، وقد أفاد من ذلك. وعليه فهو يفيد قارئه، وقد اختصر ابن عاشور وصف كتابه بقوله: "فيه أحسن ما في التفاسير، وأحسن مماّ في التفاسير" [1].

ثالثا: اهتمام مصنفه بالجوانب البلاغية، والنحوية، واللغوية، وذلك يعين طلاب العربية على فهم كتاب الله.

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، 7/1

ب- قيمة الكتاب:

وهذه النقطة متعلقة بما قبلها علاقة تعاضُد فأهمية الكتاب تأتي من قيمته، وقيمة الكتاب تعبر عن أهميته، ونستطيع أن نبرز قيمته فيما يلي:

أولا:

مخالفة مصنفه للمفسرين واللغويين في كثير من المسائل، مع الاحتجاج لما يذهب إليه من آراء، مما يثري مجال البحث العلمي للموازنة بين ابن عاشور وغيره.

ثانيا:

تحرر صاحب التحرير والتنوير من المذهبية النحوية، وكونه غير مقلد لمدرسة بعينها جعله يتناول القضايا تناولا حياديا أساسه التذوق والتعليل.

ثالثا:

موسوعية الكتاب وشموليته لكثير من قضايا التفسير، فهو تفسير أثري لغوي يدعو إلى إعمال الرأي فكما وصفه د/ رفيدة: "تفسير حافل قيم واسع" [1] .

رابعا:

الطريقة العلمية التي اتبعها ابن عاشور في تصنيفه، فبدأ بمقدمة ذكر فيها الغرض من تصنيفه للكتاب، ثم مهد بذكر مقدمات عشر تساعد القارئ على قراءة التفسير، وفهم طريقة مصنفه وآرائه، وسار في تفسيره على طريقة واحدة ساعدت كل من تعرض لدراسة التفسير على إبراز ملامحها.

ج- أهم مصادره:

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها ابن عاشور وتعددت بحيث شملت جميع أنواع الفنون والعلوم التي تنتمي لعلم التفسير [2] من كتاب لعلوم القرآن، وبيان أوجه الإعجاز فيه،

(1) النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلانات، ط3، 1990،(126/2).

(2) انظر: سرد المصادر في رسالة هيا العلي، من (ص121-142)، وفي منهج الإمام الطاهر في التفسير، د/ نبيل أحمد صقر من (ص16-39)، ورسالة فودة، من (ص20-43)،رسالة العيسوي، (ص19-20).

والمتشابهات والفروق، والناسخ والمنسوخ، وعلى رأس ذلك كتب التفسير السابقة له، وكذلك كتب علوم الأداة إلى توصيل لفهم كتاب الله من كتب اللغة، و النحو، والبلاغة، والخط(رسم المصحف)، وكتب الأدب وتاريخه التي اعتمد عليها في كثير من استشهاداته الشعرية و النثرية، والكتب المتصلة بعلوم الشريعة، ككتب الحديث والفقه وأصول الفقه وكذا كتب العقيدة وعلم الكلام والتصوف والفلسفة بالإضافة إلى كتب السيرة والمذاهب والتراجم والعلوم المتنوعة، وأخيرا نقله عن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل، وكذا ما سمعه من شيوخه ومعاصريه، وقد جرت عادة الدراسين للتحرير و التنوير على ذكر ما صرح به ابن عاشور نفسه في مقدمة تفسيره من مصادر اعتمد عليها ونقل عنها، وقد أدى ذلك إلى تجاهلهم ذكر تفسير البحر المحيط لابن حيان مع كثرة نقل ابن عاشور عنه عن بعض ما ذكروه، وسأكتفي بالإشارة إلى المصادر التي تمس دراستنا. وهي ثلاثة أنواع:

أولا: كتب التفاسير:

من أهم التفاسير التي أفاد منها ابن عاشور، ونص عليها في مقدمة تفسيره:

أ-الكشاف للزمخشري، وهو على رأس التفاسير التي اعتمدها ابن عاشور ونقل عنها،

ب-المحرر الوجيز لابن عطية[1] ، عبد الحق بن غالب الأندلسي توفي سنة 542هـ.

ج-مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي[2] ، أبي عبد الله محمد الحسن بن الحسين التيمي، البكري المتوفى، سنة 606هـ.

د-تفسير القرطبي[3] ، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجيّ الأندلسيّ المتوفَّى سنة 683هـ.

(1) انظر: التحرير والتنوير (105/7)، (19/8، 103) (ق1)، (229/9، 265، 298، 313، 334) و(113/9).
(2) السابق: (286/2)، (298/2)، (300/2)، (337/2)، (210/9).
(3) انظر: السابق، (286/2)، (9/ 215، 219، 240، 262، 290، 345).

هـ-تفسير البيضاوي[1] ، عبد الله بن عمر الشيرازي،المتوفَّى، سنة 675هـ.

و- ما كتبه القطب[2] (قطب الدين الشيرازي محمود بن مسعود الفارسي) المتوفَّى سنة 810هـ،والقزويني[3] (محمد بن عبد الرحمن المعروف بخطيب دمشق) المتوفَّى سنة 839هـ،والطيبي[4] (الحسين بن محمد بن عبد الله) المتوفَّى سنة 843هـ،والتفتازاني [5] (مسعود بن عمر ابن عبد الله) المتوفَّى سنة 393هـ، على الكشاف.

ز-ما كتبه الخفاجي [6] (أحمد بن محمد بن عمر المصري المتوفَّى سنة 1069هـ) على تفسير البيضاوي.

ح-تفسير روح المعاني للشهاب الألوسي المتوفَّى سنة 1270هـ، وقد أفردناه بمبحث في الدراسة.

ط-الموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي[7] المتوفَّى سنة 803هـ.

ي-تفسير أبي السعود[8] محمد بن مصطفى العماري المتوفى سنة 898هـ

هذا ما نص عليه ابن عاشور في مقدمة تفسيره وأما ما نقل عنه ولم يذكره في المقدمة فأبرزها.

أ-تفسير بحر المحيط لأبي حيان الأندلسي[9] المتوفَّى سنة 745هـ.

ب- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري[1] محمد بن جرير المتوفَّى سنة 310هـ.

---

(1) انظر: السابق، (41/9، 210).

(2) انظر: السابق، (220/9)، (32/18).

(3) انظر: السابق، (116/18)،(114/19).

(4) انظر: السابق، (299/2)، (320/2).

(5)انظر: السابق، (290/2، 291)، (320/2).

(6)انظر التحرير والتنوير،(70/8) (ق2)، (23/9)

(7) انظر : السابق، (311/2)، (69/8، 70) (ق2)، (80/9).

(8) انظر: السابق، (8/ 70) (ق2).

(9) انظر: السابق، (502/1، 745)، (28/ 357)، (74/29)، وقد أفردت لها مبحثا في الفصل الأول من الباب الثالث.

ج- الكشف والبيان في تفسير القرآن للنيسابوري أحمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفَّى سنة 824هـ.

د-معالم التنزيل للبغوي[2] الحسين بن مسعود المتوفَّى، سنة 510هـ.

هـ- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير[3] المتوفَّى سنة884هـ.

ثانيا: كتب البلاغة:

المصادر البلاغية في التحرير والتنوير تكاد تنحصر في مؤلفات عبد القاهر الجرجاني والرازي والسكاكي والقزويني والتفتازاني والطيبي والإسكافي مع إلمامات من هنا وهناك[4] وأهم هذه المصنفات.

أ-دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني[5] المتوفى سنة 481هـ، وهو على رأس الكتب التي استوعبها ابن عاشور وتأثر بها.

ب- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي[6] يوسف بن محمد المتوفَّى سنة 626هـ.

ج- تلخيص المفتاح للخطيب القزويني[7].

د-غرة التنزيل ودرة التأويل المنسوب لأبي عبد الله. محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفَّى سنة 420هـ.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، (8/2)،à324،300/(103،19(ق1)،(142/8)(ق2).

(2) انظر: السابق، (105/7)، (207/9).

(3) انظر: السابق، (211/9، 215).

(4) الجهود البلاغية لمحمد الطاهر بن عاشور، عبد الرحمن إبراهيم محمد السيد فودة ، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1999، ص82.

(5) انظر: التحرير والتنوير، (8/ 110)(ق1)، (8/ 127)(ق2)، (219/9).

(6) انظر: السابق، (63/9، 219، 295،293،220).

(7) انظر: التحرير والتنوير، (116/18)، (220/9).

هـ- ما سبق أن أشير إليه في كتب التفسير من تعليقات القطب، والقزويني، والطيبي، والتفتازاني على الكشاف، بل والكشاف على نفسه؛ فمصنفه شيخ البلاغين، كما أطلق عليه ابن عاشور.

ثالثا: كتب اللغة:

اهتم ابن عاشور اهتماماً بالغاً ببيان معاني المفردات، والوقوف على دقائق الفروق بين الكلمات، وقد اعتمد على مصادر عديدة ساعدته على ذلك؛ وأهمها:

أ-كتب المعاجم وقد ذكر منها:

1-معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفَّى سنة 380هـ.

2-معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس المتوفَّى سنة 390هـ.

3-الصحاح، لأبي نصر إسماعيل الجوهري المتوفَّى سنة 398هـ.

4-المخصص، لابن سيده[1] علي بن إسماعيل المتوفَّى سنة 458هـ.

5-أساس البلاغة، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفَّى سنة 538هـ.

6-لسان العرب[2] لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري المتوفَّى سنة 711هـ.

7-القاموس المحيط، لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفَّى سنة 817هـ.

8-تاج العروس، لأبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفَّى سنة 1205هـ.

ب- كتب الغريب وأهمها:

1-تفسير غريب القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفَّى سنة 276هـ.

2-غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفَّى سنة 287هـ.

---

(1) انظر: السابق، (242/8)(ق2).

(2) المصدر نفسه

3-مفردات غريب القرآن، للراغب الأصبهاني[1] المتوفَّى سنة 502هـ.

ج- كتب أخرى ومنها:

1-مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحي[2] المتوفى سنة 219هـ.

2-الأمالي، لأبي علي بن إسماعيل بن القاسم القالي[3] المتوفَّى سنة 356هـ.

3-المقامات، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري[4] المتوفَّ سنة 516هـ.

4-تبصرة المتذكر، للكواشي أحمد بن يوسف المتوفَّى سنة 680هـ.

5-التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني المتوفَّى سنة 716هـ.

د: كتب النحو والصرف:

تناول الدراسون هذه النقطة، وكانوا ما بين مسهب وموجز[5] ،بل اهتموا ببيان طريقته في عرض اللغة وما يتعلق بمسائل النحو والإعراب[6] ولذا سأكتفي بذكر أهم النقاط التي تميز طريقته في عرض أوجه الإعراب وهي:

أولا: تقديمه المعنى على قواعد الإعراب.

ثانيا: كثيرًا ما يكتفي بذكر ما يرجح لديه ولا يعدد أوجه الإعراب.

ثالثا: كثيرًا ما يكون انطلاقه من توجيه الزمخشري في إعراب الآية.

رابعا: الإتيان بوجه جديد لم يسبق إليه في الإعراب.

خامسا: عرض بعض الأوجه وتضعيفها

---

(1)انظر: التحرير والتنوير (242/8)(ق2)،(296/9،229).

(2)انظر: السابق، (220/9).

(3)انظر: السابق، (345/2).

(4)انظر: السابق، (232/9).

(5)انظر: ابن عاشور ومنهجه في التفسير، هيا العلي (من ص324 إلى ص334)، ومنهج ابن عاشور في التفسير، نبيل صقر (من ص43 إلى ص52)، وتفسير ابن عاشور دراسة لغوية عبد الوهاب عيسوي من (ص11 إلى ص18).

(6)انظر: رسالة هبا من (ص386 إلى ص394)، ومن (ص402 إلى ص410)، ومنهج ابن عاشور في التفسير، نبيل صقر (161 إلى ص190).

سادسا: نسبة الوجه الإعرابي إلى أصحابه غالبًا.

سابعا:الاستشهاد بمتشابه النظم، وبالشعر العربي على الوجه المختار.

ثامنا: لا يلتزم رأيًا مفصلا و شاملا بل كثيرًا ما مرّ على مواضيع دون تعرّض لها إذ غرضه التفسير لا الإعراب.

تاسعا: كثيرًا ما يعتمد في توجيهه على رأيه الشخصي وفهمه ودرايته بالنحو العربي.

عاشرا: الإحالة إلى المتشابهات.

عناوين الكتب:

1- إيضاح المفصل لابن الحاجب

2- شرح المفصل لابن يعيش(556-643) بغداديون متأخرون

3- التبيان في إعراب القرآن

4- شرح الشافية للرضى: بغدادي

5- المفصل للزمخشري: بغدادي

6- شرح التسهيل للمرادي

7- الكافية لابن مالك: أندلسي

8- شرح الكافية لابن مالك: أندلسي

9- مغنى اللبيب لابن هشام: مصري

10- شرح التسهيل لابن مالك: أندلسي

المطلب الثاني: مكانته بين التفاسير:

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تمهيد تفسير التحرير والتنوير: " والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلاَّ عالة على كلام سابق بحيث لاحَظَّ لمؤلفه إلاّ الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل"[1]، وهذا يدل على القيمة العلمية لهذا التفسير وانه من أمهات التفاسير في عصره.

ومن أهم التفاسير التي رجع إليها الطاهر بن عاشور في تأليفه تفسير التحرير والتنويرتفسير الكشاف، والمحرر الوجيزلابن عطية، ومفاتيح الغيب للفخر الرّازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسيرالبيضاوي وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي، والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي وتفسير محمد بن جرير الطبري، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخرالدين الرازي وربَّما ينسب للراغب الأصفهاني[2].

وقد ميز الشيخ ما يفتح الله له من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لم يذكره المفسرون، وحسبه في ذلك عدم عثوره عليه فيما بين يديه من التفاسير في تلك الآية خاصة.

"ولست أدَّعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم وقديما قيل":

هل غادر الشعراء من متردّم.

وقد اهتممت في تفسير هذا بيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال واهتممت أيضًا ببيان تناسب الرأي بعضها ببعض وهو مترع جليل قد عني به فخر الدين الرازي وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه نظم الدرر في تناسب الرأي والسور إلاّ أنّهما لم يأتيا في كثير من الرأي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول

(1) التحرير والتنوير، 07/1.

(2) المصدر نفسه، ص06

تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقًّا على المفسّر[1]ولم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

واهتممت بتبين معاني المفردات في اللغة العربية يضبط وتحقيق ممَّا خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده ويتناول منه فوائد ونكتًا على قدر استعداده فإني بذلت الجهد في كشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم التحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصار مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وسمّيته " تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد" واختصرت هذا الاسم باسم " التحرير والتنوير من التفسير "[2].

***وفاة الطاهر بن عاشور**

توفي الطاهر بن عاشور يوم الأحد 13 رجب سنة 1393هـ الموافق ل 02 أغسطس(اوت) 1973م في تونس عن عمر يقارب سبعا وتسعين عاما. بعد حياة حافلة بالجد والنشاط والتأليف.

وموت مثل هؤلاء موت لأجسامهم فقط. أما أثارهم فباقية يتداولها الناس ويتدارسها أهل الذكر والفكر ودفن في مقبرة الزلاج بتونس العاصمة. [3]

(1) المصدر نفسه، ص08.

(2)التحرير والتنوير ج1 ص8و9.

(3)الاعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، ماي 2002م 173/06.

الفصل الثاني:

الاجتهادات النحوية من خلال تفسير التحرير والتنوير

المبحث الأول : اهتمامه بعلوم اللغة.

المبحث الثاني : أهمية الدرس النحوي عند ابن عاشور في فهم النص القرآني.

المبحث الأول:

اهتمامه بعلوم اللغة.

المطلب الأول: اهتمامه بعلوم اللغة عموما

المطلب الثاني: اهتمامه بعلم النحو.

المطلب الأول: اهتمامه بعلوم اللغة عموما:

من الملاحظ أن المصادر والمراجع اللغوية والنحوية خاصة التي اعتمد عليها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير كانت كثيرة ومتنوعة.

"وليس من قبيل المبالغة إذا قلنا أنّها فاقت جميع المصادر التي أعتمد عليها في تفسيره من حيث المادة" [1] .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا في هذا الصدد هذا الحشد الكبير لأئمة اللغة والنحاة خلال تفسيره للآيات وهذا التوقف الطويل عند آرائهم والاستفادة بمذاهبهم في النحو.

ولا يقتصر استشهاد الشيخ بآراء هؤلاء على التأييد فقط ومن أكثر الأسماء لمعانا في سماء التحرير والتنوير عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة " وسيبويه في "الكتاب" ثم السكاكي صاحب "مفتاح العلوم" وتتلاحق بعد ذلك الأسماء والمؤلفات اللغوية لتزدحم على صفات التحرير والتنوير من أمثال "شرح المفصل" لابن الحاجب، والقزويني في "الإيضاح والتخليص" و"مغني اللبيب" لابن هشام و"نهاية الإيجاز" للرازي، ومن أمثاله "الأشباه والنظائر" للسيوطي. والخليل بن أحمد الفراهيدي.

وقد طالعتنا من خلال كل ذلك الأسماء الكثيرة لجمهرة من العلماء الذين اهتموا بالقرآن من حيث دراسة معانيه وإعجازه البياني واللغوي من أمثال أبي عبيدة، والكسائي، والفرّاء، والزجاج والنحاس، وأبي بكر الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" والراغب الأصفهاني في "البصائر ذوي التمييز" وابن الأنباري وابن سيده والزمخشري والميرد.

وهذه نماذج من استشهاداته في هذا المقام. يقول محمد الطاهر بن عاشور وهو يصدد تفسيره قوله تعالى:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ " [2].

(1) الشيخ الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره، هيا ثامر مفتاح العلي، ص138.

(2) سورة المائدة الآية41.

قال: "أما مثير الحزن في نفس المحزون فهو غير معروف في العرف ولذلك فهو من المجاز الذي ليس له حقيقة". ولقد أجاد الشيخ عبد القاهر الجرجاني إذ قال في "دلائل الإعجاز": اعلم أنه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه صار حقيقة فإنك لا تجد في قولك: أقدمني بلدك حق لي على فلان، فاعلا سوى الحق. وكذلك في قوله:صيرني هواك وبي لحين يضرب المثل ويزيدك وجهه حسنا.أن تزعم أن له فاعلا قد نقل عنه الفعل فيجعل للهوى وللوجه ها " [1].

ومما ينقل عن سيبويه لدى إعراب قول تعالى في سورة الأنعام: "وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ"[2]

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: أتحاجّوني بنون واحدة خفيفة، وأصله أتحاجونني بنونين فحذفت إحداهما للتخفيف والمحذوفة هي الثانية جُلبت لتحمل الكسرة المناسبة للياء، ونون الرفع لا تكون مكسورة، وأيا ما كان فهذا الحذف مستعمل لقصد التخفيف: [3] .وقد نقل ابن عاشور أثناء تفسيره ذكر "مغني اللبيب" لابن هشام في معرض تفسير الآية الكريمة" وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف..." [4] . كلام ابن هشام في " مغني اللبيب" وذلك حين يقول ابن عاشور " وبلوغ الأجل هو الوصول إليه... وقد يطلق البلوغ على مشارفة الوصول ومقاربته. وفي القاعدة الخامسة من الباب الثامن من "مغني اللبيب" أن العرب يعبرون بالفعل عن أمرين: أحدهما وهو الكثير المتعارف عن حصول الفعل وهو الأصل، والثاني على مشارفته نحو:" وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ ".البقرة 231.

(1) التحرير والتنوير ج6، ص197، 198.

(2) سورة الأنعام الآية80.

(3) التحرير والتنوير ج7/ ص327.

(4) سورة البقرة الآية231.

فكانت هذه وقفة لقراءة أهم المصادر اللغوية والنحوية التي اعتمد عليها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره وتعامله معها على اختلاف ألوانها وأفكارها. ولا شك أن كل ذلك قد انعكس في تفسير الشيخ وترك عليه بصمات واضحة. وقد اقتصرنا في هذه الوقفة على إلقاء الضوء على أهم المصادر اللغوية والنحوية وأكثرها ترددًا وتكرارًا وأبرزها من حيث التأثير على تفسير التحرير والتنوير.

والشيخ الطاهر بن عاشور باعتباره تلميذا من تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة في التفسير والتي كان من أبرز روّادها شيخه الإمام محمد عبده، الذي لا يرتضي بغير التفسير بالرأي بديلاً، ويمتدح الذين أخذوا به ويشيدهم، ويحدد الشيخ التفسير بالرأي بأنّه التفسير بالرأي المحمود. من أمثال الفراء (ت207ه) وأبي عبيدة (ت210ه) والزجاج (ت311) والرماني (384) ثمَّ الذين سلكوا طريقهم مثل الزمخشري وابن عطية.

والقدر المشترك الذي يجمع هؤلاء هو التدليل على إعجاز القرآن من خلال مؤلفاتهم باستعمال اللغة والبلاغة ومدى تأثيرها في بيان وجوه الإعجاز القرآني ودورهما الخطير في إثبات ذلك.

ونلاحظ أن أسماء هؤلاء الرواد تعد نماذج رائدة للتفسير بالرأي وهي أسماء لامعة في علوم اللغة وأن أصحاب هذه الأسماء من أفذاذ العلماء في ميدان هذه العلوم.

فصاحب هذا التفسير يقدّم العربية على ما سواها في مقدمته الثانية (في استخدام علم التفسير) وذلك لأهميته العظمى للمفسر فيقول في ذلك: "أمآ العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، وأنّ القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقًا لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة"[1]

(1) التحرير والتنوير 8/1.

ويعنى الشيخ –ابن عاشور–بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم" [1]

ويرى الشيخ–ابن عاشور– أن اللغة العربية استحقت بجدارة أن تكون لغة القرآن لما تتميز به عن سائر اللغات؛ أنّها أوفر اللغات مادة، وأقلّها حروفا، وأفصحها لغة، وأكثرها تصريفا، في الدلالة على غرض المتكلم وأوفرها ألفاظا. [2]

(1) المصدر نفسه

(2) التحرير والتنوير 98/1.

المطلب الثاني: اهتمامه بعلم النحو.

وردت تعريفات لغوية عديدة لعلم النحو منها:

قال ابن منظور: "النحو إعراب الكلام العربي، والنحو القصد والطريق نحاه بنحوه، ينحاه نحوًا وانتحاه، ونحو العربية منه، إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكبير، والإضافة، والنسب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، او إن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها" [1] ومن التعريفات الاصطلاحية:

قال السكاكسي:"وعلم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقًا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبينة عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون على الهيئات إذ ذاك." [2]

والهيئات التي يلزم رعايتها، على تفاوتها بحسب المواضيع وجهة التقديم والتأخير، منحصرة بشهادة الاستقراء في أنَّها اختلاف كلم دون كلم، اختلافًا لا نهج واحد، لاختلاف أشياء معهودة، فيظهر من هذا أنّ الغرض في هذا الفصل إنّما يحصل بضبط ثلاثة: القابل والفاعل والأثر، فالقابل هو المسمَّى عند أصحابنا معربًا، والفاعل هو المسمَّى عاملاً، والأثر هو المسمَّى إعراباً. ولا يذهب عليك أن المراد بالقابل ههنا هو ما كان له جهة اقتضاء للأثر فيه من حيث المناسبة، وبالفاعل هو ما دعا الواضع إلى ذلك الأثر أو كان معه داعية له إلى ذلك، وإلاّ فالفاعل حقيقة هنا هو المتكلم." [3]

---

(1) لسان العرب 86/14.

(2) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ط،02 1407هـ/1987م، ص75.

(3) المصدر نفسه ص76.

وقيل إنّ أوّل من تكلم في النحو نصر بن عاصم (ت89هـ) وقيل عبد الرحمن بن هرمز (ت117هـ). وقيل لم يصل إلينا شيء عن أحد قبل يحي بن يعمر (ت129هـ) وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117هـ) وقيل وقيل.....إلخ.

وتكاد تجمع المصادر كما يقول ابن عساكر في كتابه (تاريخ دمشق) أنّ أبا الأسود الدؤلي هو واضع الأساس الأوّل في بناء النحو؛ فالرجل ذو ذكاء ناذر، وجواب حاضر، وبديهة نيّرة، وحسبك اختراعه الشكل الذي عرف بنقط أبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجرّ والتنوين وأمّا السكون فعلامته التجرد من العلامة وكانت هذه الخطوة الأولى إلى النحو.

ونشير أن هؤلاء الذين تزعم لهم الأولوية في بعض الأقوال؛ نصر بن عاصم، ويحي بن يعمر، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فكلهم تلاميذ أبي الأسود الدؤلي أو تلاميذ تلاميذه. ورويت عن أبي الأسود الدؤلي الصحيفة التي تعرف عند النحاة بـ:"التعليقة" وهي أربع أوراق فيه كلام عن أنواع الكلام، والفاعل والمفعول والعطف والنعت و التعجب والاستفهام. وأخذ عن أبي الأسود يحي بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، وعطاء بن أبي الأسود. وعن هؤلاء أخذ علماء البصرة طبقة بعد طبقة ثمّ نشأ بعد مائة عام من تلاميذهم من ذهب إلى الكوفة فعلّم بها فكان منه ومن تلاميذه ما يسمى بمدرسة الكوفة ثمّ جاءت بعدها المدارس النحوية الأخرى تواليا.

ووردت روايات عديدة في ظهور اللحن في اللغة العربية! فمنهم من يرجعه إلى أيام الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال (أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ)، و منهم من يرجعه إلى أبي بكرالصّديق ـ رضي الله عنه ـ حين قال:(لأن أقرأ فاسقط أحب إليّ من أن أقرأ فألحن)،و منهم من يرجعه إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ و ذلك حين قدم أعرابي في خلافة عمرفقال:"من يقرئني شيئًا ممّا أنزل على محمّد؛ فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن:" وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

وَرَسُولُهُۥٓ "[1] بجرّ رسوله ـ فقال الأعرابي :إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه و صحّح له الآية ، فقال الأعرابي:وأنا أبرأ ممّن بريء الله و رسوله منهم. وأمرعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن لا يقريء القرآن إلا عالم باللغة، ولعمر تنسب المقولة المأثورة "تعلّموا العربية فإنّها تثبّت العقل و تزيد في المروءة".

وممّا سبق من أحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ اللغة العربية وتيسر تعلّمها للأعاجم.والذي تجمع عليه المصادر أن النحو نشأ في البصرة وبهانما واتسع و تكامل و تفلسف. وأوّل من أرسل في النحو كلامًا أبو الأسود الدؤلي (ت 67هـ) و قيل أنّ علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ـ ألقى على أبي الأسود شيئًا من أصول هذا النحو ثم قال له:انح هذا النحو، فسميّ الفن نحوًا. ورغم إجماع الآراء على جفاف النحو و صعوبته ، بيد أن أهميته تكمن في تصحيح لغة من يكتب أو يتحدث بها و سنوضح أهميته في النقاط الآتية:

1_ النحو مقاس دقيق يقاس به الكلمات أثناء وضعها في الجمل كي يستقيم المعنى.

2_ النحو نظام علمي يحمي اللغة من فوضى التعبير و اختلاط المقاصد، و يجعلها سهلة ميسرة جميلة.

3_ النحو يضمن لغة موحدة لأبناء المجتمع يتفاهمون بها، وتبعدهم عن التشرذم النابع من الخضوع إلى اللهجات.

4_ النحو علم يخدم العلوم كلها، التجريبية و الإنسانية و الآداب و السياسة و الفنون، فهو لا يخدم تخصص اللغة العربية وحدها.

5_ النحو يمكننا من الأداء اللغوي السليم،و يردُّ من خارج عن هذه العلاقة اللغوية إلى الصواب.

(1) سورة التوبة الآية03.

6_ بواسطة النحو يتمكن التلاميذ من القراءة الجيدة و الكتابة الصحيحة، و المحادثة الفصيحة و تدريبهم على دقة الملاحظة، و منحهم الميزان العقلي على التفكير النظري و تسهيل التراكيب الغامضة[1] .

كما تحدث الأستاذ عباس حسن عن أهمية علم النحو في كتابه (اللغة والنحو بين القديم و الحديث) بقوله:" منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة، وهو دعامة العلوم العربية، و دستورها الأعلى، وهو أصلها الذي تستمد عونه، و تستلهم روحه، و ترجع إليه في جليل مسائلها و فروع تشريعها، و لن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو، أو يستغني عن معونته، أو يسترشد بغير نوره و هداه ..." [2].

لا يمكن تصور عملية تدريس النحو دون أهداف محددة وواضحة المعالم، نذكر أهمها في النقاط الآتية:

1_ تدريس قواعد النحو ليس هدفا في حد ذاته، وإنما هو وسيلة لتقويم القلم و اللسان من الاعوجاج و الزلل، و تعويد التلاميذ على التدقيق في صياغة العبارات و الأساليب حتى تخلو مما يشينها و يذهب بجمالها.

2_ زيادة الخبرة و الثروة اللغوية، و تنمية القدرة على التعبير الشفهي و الكتابي. [3]

3_ تنمية ثروة الطالب اللغوي عن طريق ما يدرسه من الأمثلة و الشواهد و الأساليب[4].

4_ المتعلم للنحو يصل إلى إدراك المعاني النحوية الوظيفية في التركيب، وإدراك العلاقات التركيبة بعضها ببعض.

(1) ينظر: فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بين النظرية والتطبيق، راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة: دار الجدارا، عمان، ط1، 2009م، ص253، 254.

(2) مجمع اللغة العربية: ندوة اللغة العربية والتعليم، دار البحث، دمشق، (د ـ ط)، 2000م، ص152.

(3) ينظر: الموجز في طرق تدريس اللغة العربية، محمود أحمد السيد، دار العودة، بيروت، ط1، 1980م، ص119.

(4) ينظر: التوجيه في تدريس اللغة العربية، محمود علي السمان: ، دار المعارف، القاهرة، (د ـ ط)، 1983م، ص149.

5_ بعض قواعد النحو لا تدرس لذاتها، بل الهدف منها أن تكون قانونا عاما، و يُقَوَّمُ عليها لسان المتكلم حتى لا يحيد عن كلام العرب، ولا تتسرب العامية إلى لسانه و بالتالي تكون أساليبه صحيحة خالية من الأخطاء.

6_ إدراك الفروق الدقيقة بين التراكيب من جهة و الجمل من جهة أخرى، كما تمكنهم أيضا من نقد الأساليب الخاطئة التي يرتكبها الآخرون[1].

7_ إذا كانت قواعد النحو تميل إلى التجريد أكثر من التطبيق فهي إلى حد ما تُعْملُ الفكر و تعطي الطالب روحا عملية ، يستطيع بها التعامل مع المجردات.

8_ تمكين الطالب من القدرة على الحكم و الاختيار و النقد و الميل إلى الموضوعية و النشاط اللغوي الجماعي لتحقيق ذاته.

9_ تنمية التفكير السليم القائم على الربط و إدراك العلاقات وفق منهج يتسم بالوضوح و الدقة و التنظيم[2].

(1) ينظر: إشكالية تعليم مادة النحو العربي في الجامعة (جامعة بجاية أنموذجا)، حمار نسيمة، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، (د ط)، 2011م، ص122.

(2) ينظر: المرجع في تدريس اللغة العربية، إبراهيم محمد عطا: مركز الكتاب، القاهرة، ط1، 2005م، ص58.

المبحث الثاني:

أهميـــة الـــدرس النحـــوي عنـــد ابن عاشور في فهم النص القرآني

المطلـــب الأول : النحـــو و الإعـــراب فـــي التحرير والتنوير.

المطلب الثاني : أراء ابن عاشور في النحو و الإعراب.

المطب الأول:النحو والإعراب في "التحرير والتنوير":

يعرض ابن عاشور للآيات القرآنية بالشرح والتفسير في ضوء ما طبع عليه وتميز به من ثقافة نحوية عالية، فهو يستشهد بآراء أئمة النحو وأساطينه يأخذ عنهم ويناقشهم فيما ذهبوا إليه من آراء وأقوال حول إعراب الكلمة، والجملة القرآنية ببراعة ومهارة فائقة.

وابن عاشور يعرب الآيات ويستوعبها إلى حد الإطالة، بما يذكرنا بحال الألوسي في " روح المعاني" وهو أحد الأُسس التي اعتمد عليها _ ابن عاشور_ في مصادره، بل تابعه وأخذ عنه.

وإعراب الآيات القرآنية من الأمور التي عنى بها ابن عاشور اللغوي والأديب والمفسر فالإعراب أحد دعائم تفسيره وأحد أهداف ابن عاشور المفسر فإنك لا تكاد تمر بآية من آيات القرآن إلا ولاحظت مدى عناية الشيخ بذكر أوجه الإعراب والنحو والتصرف، على تفاوت في مدى عنايته بإعراب هذه الآية أو تلك.

وقبل أن نبين منهج الشيخ وأسلوبه في التعامل مع النحو والإعراب نتوقف برهة لنعرف الفرق بينهما.

فابن عاشور العالم اللغوي الأديب، درس دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وتأثر بما فيهما وتابعو أخذ من عبد القاهر الجرجاني، وهولا يتجاهل التحذير الوارد في دلائل الإعجاز الذي ساقه الجرجاني لمن تجاهل علم النحو وأغفله.

فتحت عنوان: "زهدهم في النحو واحتقارهم له" قال الشيخ عبد القاهر: (...إذا كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام و رجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه.... وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه... ورضي لنفسه بالنقص...) [1]

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة سعد الدين دمشق، ط2، 1407هـ. 1987م، " " ص 28

ولا أحسب إلا أن الشيخ ابن عاشور قد وعى الدرس جيداً، وكان خير مطبق لما جاء ووعاه من مدرسة الجرجاني، إن في النحو أو الشعر أو البلاغة.

وقال ابن منظور (النحو إعراب الكلام العربي، والنحو القصد والطريق نحاه بنحوه، ينحاه نحوا و انتحاه، و نحو العربية منه، إنما هو انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرفاته، من إعراب و غيره، كالتثنية والجمع، والتحقير و التكبير والإضافة، والنسب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذ بعضهم عنها رد به إليها) [1].

(والإعراب في اللغة: هو الظهور والإبانة، و أعرب الرجل إذا تكلم بالعربية والإعراب اصطلاحا: هو بيان أثر العامل أو كما يذهب إليه الباحثون له معنيان:

الأول:

بيان علاقة الكلمات بعضها ببعض في الجملة. مثال: " أعرب هذه الجملة" أي بين علاقات ألفاظها بعضها ببعض، من حيث كونها فاعلا أو مفعولاً.

الثاني:

الحالة التي تقتضيها تلك العلاقة في آخر الكلمة لفظاً أو" محلاً")[2] .

(وقد تبين أن علماء اللغة لم يتفقوا على تحديد واضح للنحو، فكانت له تعاريف عديدة، منها نشأ الخلط ما بين النحو والإعراب، ومهما تكن الآراء، فالنحو قسمان، هذان القسمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، نطلق على القسم الأول "النحو" الذي هو عبارة عن استظهار المصطلحات أو التسميات، وعلى القسم الثاني: "الإعراب" الذي هو التطبيق من

(1) لسان العرب، 76/14.

(2) الإعراب في القرآن الكريم، سميح عاطف الدين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م. ص64_65.

حيث فهم و تمييز كل لفظة في مقامها و بتحريكها بموجب هذا المقام، الذي شغله، وإن كان علم النحو عند الإطلاق يشملهما معا) [1].

أما منهجه في ذلك فقد تميز بمظاهر عدة.

أولا: ابن عاشور يحاول ألا يترك أية شاردة أو واردة إلا ويذكرها بطريقة تدل على قوة تمكنه من المادة التي تناولها مع ما عرف به من أسلوب في الجمع بين المباحث النحوية والإعرابية والمباحث البلاغية عند إعراب الآية الواحدة. فقد يبتدأ بإعراب الآية إعرابا نحويا ويفاجأ القارئ بدخول مبحث بلاغي في نفس الوقت واللحظة ولنأخذ نموذجا لذلك.

فلدى إعرابه لقوله تعالى: ﴿يأيها الناس اعبدو ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[2] ،قال الشيخ: "استئناف ابتدائي ثنى به العنان إلى موعظة كل فريق من الفرق الأربع المتقدم".

يا: حرف للنداء وهو أكثر حروف النداء استعمالا فهو أصل حروف النداء ولذلك لا يقدر غيره عند حذف النداء ولكونه أصلا كان مشتركا لنداء القريب والبعيد. وأي: في الأصل نكرة تدل على فرد من جنس اسم يتصل بها بطريق الإضافة نحو أي رجل أو بطريق الإبدال نحو أيها الرجل.

والناس: " تقدم الكلام في اشتقاقه عند قوله تعالى: ﴿ ومن الناس﴾ " وهو اسم جمع نودي هنا وعرف بأل، يشمل كل أفراد مسماه لأن الجموع المعرفة باللام للعموم ما لم يتحقق عهد كما تقرر في الأصول واحتمالها العهد ضعيف إذ الشأن عهد الأفراد فلذلك كانت في العموم أخص من عموم المفرد المحلي بأل) [3].

ويتوقف هنا عن إعراب بقية مفردات هذه الآية لينتقل إلى ذكر المسائل الأصولية الشرعية فالبلاغية ويسهب في سوق الأدلة والآراء النحوية، بل البلاغية التي ذكرها علماء

(1) المرجع نفسه ص 75 – 66

(2) سورة البقرة الآية: 21.

(3) التحرير والتنوير: 323/1، 330.

النحو والبلاغة فمن سبيويه إلى الزمخشري وهكذا إلى أنينتهي فصل الآيتين من هذه الآية فليس بلازم في منهج ابن عاشور النحوي أن ينتهي من إعراب الآية من مبدئها إلى منتهاها إذ قد يكون مر فيما تقدم إعراب كلمة مشابهة فيكفي بلإشارة إلى ذلك، ولكن هذا لا يعني أن ابن عاشور يتبع أسلوبا الإيجاز في إعرابه على صفحات "التحرير والتنوير" وإنْ أوجز في إعراب بعض الآيات فمن ذلك مثلا هذا النموذج.

1- قال تعالى الآية الكريمة:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (1)

قال الشيخ :الفاء: للترتيب والتسبب على قوله: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾(2).

ثم قوله: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾(3).

الباء: في قوله: "فبما" سببية وهي ظرف مستقر واقع موقع الحال من فاعل "لأقعدن أي أقسم لأقعدن لهم حال كون ذلك مني بسبب أغوائك إياي" و اللام: في لأقعدن لام القسم قصد تأكيد حصول ذلك، وقدم المجرور على عامله لإفادة معنى التعليل، وهو قريب من الشرط، ولذلك استحق التقديم، فإن المجرور إذا قدم قد يفيد معنى قريبا من الشرطية... وذلك يحصل من الاهتمام بالمتعلق، إذ كان هو السبب في حصول المتعلق به، فالمتقدم للاهتمام، ولذلك لم يكن هذا التقدم منافيا لتصدير لام.القسم في حصول المتعلق به، فالمتقدم للاهتمام، فلذلك لم يكن هذا التقديم منافيا لتصدير لا القسم في جملتها.....) (4).

(1) سورة الأعراف، الآية: 16.

(2) سورة الأعراف، الآية: 13.

(3) سورة الأعراف، الآية: 15

(4) التحرير والتنوير: 46/9 -47.

قال الشيخ:(على أن لا نلتزم ذلك فقد خولف في كثير من كلام العرب.

وما: مصدرية.

والقعود: كناية عن الملازمة كما في قول النابغة.

قعوداً لدى أبياتهم يثمدونهم•• رمى اللّهُ في تلك الأكف الكوائع

أي ملازمين أبياتاً لغيرهم يرد الجلوس

صراطك: انتصب على المفعولية أو على تقدير فعل تضمنه معنى لأقعدن

تقديره: فأمنعن صراطك، أو فأقطعن عنهم صراطك.

اللام في لهم للأجل.

وإضافة الصراط إلى إسم الجلالة على تقدير اللام أي الصراط الذي هو لك) [1].

كما يدل عليه أيضاً هذا النموذج.

2_ قال تعالى: : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾[2].

ابتدأ الشيخ بإعراب "منا" فقال: ابتدائية متعلقة بـ" آتينا" أي من لدنا، ومن عندنا وذلك تشريف للفضل الذي أوتيه داود.

وجملة "يا جبال أوبي معه" مقول محذوف، و حذف القول استعمال شائع و فعل القول المحذوف جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لجملة: " آتينا داود منّا فضلًا"

والأمر في أوبي معه: أمر تكوين و تسخير منصوب بالعطف على المنادى، لأن المعطوف المعرف على المنادي يجوز نصبه و رفعه و النصب أرجح، وهو أرجح " و الطير" مفعولاً معه لـ" أوبى" و التقدير أوبى معه و مع الطير، فيفيد أن الطير تأوب معه أيضاً) [3]

(1) التحرير و التنوير: 47/9

(2) سورة سبأ الآية:10

(3) التحرير والتنوير: 155/22_156.

ثانياً:

كثافة المادة النحوية الواردة خلال إعراب الشيخ للآيات القرآنية، حتى أصبحت سمة تميز بها منهج ابن عاشور جعله يستطرد في الإعراب، استطراداً حمله على تكليف نفسه عناء إيراد اختلاف النحويين و اللغويين حول تصريف و إعراب الكلمة الواحدة. منها على سبيل المثال:

استطراده في إعراب كلمة " كأين" في قوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ (1)

قال الشيخ: (وكأيّن كلمة بمعنى التكثير و التقليل : هي بسيطة موضوعة للتكثير. وقيل: هي مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية، وهو قول الخليل وسيبويه وليس (أي) هذه استفهاما حقيقيا، ولكن المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير فاستفهامها مجازي ونونها في الأصل تنوين، فلما ركبت وصارت كلمة واحدة جعل تنوينها نونا وبنيت، والأظهر أنها بسيطة، وفيها لغات أربع أشهرها في النثر"كأين" بوزن "كعين" (هكذا جرت عادة اللغويين والنحاة إذا وزنوا الكلمات المهموزة أن يعوضوا عن حرف الهمزة بحرف العين لئلا تلتبس الهمزة بالألف والياء التي تكتب في صورة إحداها، وأشهرها في الشعر كائن بوزن فاعل كان وليست باسم فاعل خلافا للمبرد، بل هي مخفف كأين ولهم في كيفية تحقيقها توجيهات أصلها قول الخليل لما كثر استعماله تصرف فيها العرب بالقلب والحذف في بعض الأحوال قلت: وتفصيله يطول. وأنا أرى أنهم لما راموا التخفيف جعلوا الهمزة ألفا، ثم التقى ساكنان على غير حدة، فحذفوا الياء الساكنة فبقيت الياء المكسورة فشابهت اسم فاعل "كان" فجعلوها همزة كالياء التي تقع بعد ألف زائدة...إلخ(2)

والأمثلة على مسلك ابن عاشور هذه كثيرة ومتعددة نكتفي منها بإيراد النموذج المتقدم.

---

(1) سورة آل عمران، الآية:146.

(2) التحرير والتنوير: 161/4.

ثالثا:مناقشة واستخراج الأسرار اللغوية.

ولما كان الشيخ–ابن عاشور–شغوفاً باللغة وأسرارها ضليعاً في معرفة خباياها، كانت له وقفات طويلة مع أئمة النحو واللغة يأخذ عليهم ما لا يرضيه ويرده بالحجة القوية، ويناقشهم فيما عرضوا له آراء، قاصداً من وراء ذلك أن يصل بالكلمة إلى القرار السليم بحسب مبلغ علمه وإدراكه والنماذج التالية توضح ورود هذا في تفسيره.

1–قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[1]

قال الشيخ: (يتعين أن يكون كلاما متصلا بقوله: " للمتقين" على أنه صفة لإرداف صفتهم الإجمالية بتفضيل يعرف به المراد،.....وجوز صاحب الكشاف كونه كلاماً مستأنفًا مبتدأ وكون

﴿ **أولئك على هدى**﴾ خبره، وعندي أنه تجويز ما لا يليق، إذ الاستئناف يقتضي الانتقال من غرض إلى آخر، وهو المسمى "بالاقتضاب" وإنما يحسن في البلاغة إذا اشيع الغرض الأول وأفيض فيه حتى أوعب أو حتى خفيت سآمة السامع، وذلك موقع أما بعد كلمة هذا ونحوها، وإلا كان تقصيراً من الخطيب والمتكلم لا سيما وأسلوب الكتاب أوسع من أسلوب الخطابة لأن الإطالة في أغراضه أمكن) [2]

2–وفي إعراب " كيف" الواردة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِرُكُمْ فِي اَلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [3]

قال الشيخ: (كيف هنا ليس فيها معنى الاستفهام، بل هي دالة على مجرد الكيفية أي الحالة فهي هنا مستعملة في أصلها الموضوعة له في اللغة، إذا لا ريب في أن (كيف) مشتملة على حروف مادة الكيفية، والتكيف، وهو الحالة والهيئة، وان كان الأكثر في الاستعمال أن تكون اسم استفهام..... وأما الجملة التي بعدها–حينئذ– فالأظهر أن تعتبر

(1) سورة البقرة، الآية: 3.

(2) التحرير والتنوير: 228/1، 229

(3) سورة آل عمران، الآية: 6.

مضافاً إليها اسم كيف ويعتبر كيف من الأسماء الملازمة للإضافة وجرى في كلام بعض أهل العربية أن فتحة(كيف)فتحة بناء.

والأظهر عندي أن فتحة نصب لزمتها لأنَّها دائمًا متصلة بالفعل فهي معمولة له على الحالية أو نحوها، فملازمة ذلك الفتح إياها أشبهت فتحة البناء فكيف في قوله هنا: "كيف يشاء" يعرب مفعولاً مطلقًا ليصوركم إذ التقدير حال تصوير يشاؤها كما قاله ابن هشام في قوله تعالى: "كيف فعل ربك" وجوز صاحب المغني أن تكون شرطية، والجواب محذوف لدلالة قوله: "يصوركم" عليه وهو بعيد، لأنها لا تأتي في الشرط إلا مقترنة بما، وأما قول الناس "كيف يشاء فعل" فلحن. وكذلك جزم الفعل بعدها قد عد لحنًا عند جمهور أئمة العربية) [1].

ومن النماذج التي من خلالها نستنتج طريقة ابن عاشور في توجيه الإعراب إعرابه كلمة (أَشَدَّ) و(ذِكْرًا) في قوله تعالى : (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) [البقرة 202] .

نظرا لأن كلمة ((أشد)) ممنوعة من الصرف , و محركة بالفتحة , و ليست مسبوقة بمضاف أو حرف جر ; فان احتمال كون الفتحة للنصب , أو للجر قائم .

و لذا بدأ ابن عاشور في تحليله كمن سبقه , مبرزا التوجيه في الحالين : النصب , و الجر . مع بيان توجيه ((ذكرا)) لارتباطه ب ((أشد)) , و بداء بالنصب قائلا : و ((أشد)) لا يخلو أن يكون معطوفا على مصدر مقدر منصوب على أنه مفعول مطلق بعد قوله : :(فاذكروا الله كذكركم) تقديره: فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم. فتكون فتحة أشد التي في آخره فتحة نصب فنصبه بالعطف على المصدر المحذوف الذي دل عليه قوله كذكركم و التقدير : ذكرا كذكركم آباءكم , و على هذا الوجه فنصب ((ذكرا)) يظهر أنه تمييز لأشد[2].

ثم يعرض ابن عاشور لاعتراض المعربين على وجه التمييز , ويجيب عنه فيقول :(وإذ قد كان(أشد) وصفا ل (ذكرا)) المقدر ; صار مآل التمييز على انه تمييز الشيء بمرادفه ,

(1) التحرير والتنوير: 3/151-152.

(2) التحرير و التنوير،(2/235).

و ذلك ينافي القصد من التمييز الذي هو لإزالة الإبهام . إلا أن مثل ذلك يقع في الكلام الفصيح وان كان قليلا قلة لا تنافي الفصاحة اكتفاء باختلاف صورة اللفظين المترادفين , مع إفادة التمييز حينئذ توكيد المميز[1].

ويستشهد لذلك بقوله (كما حكى سيبويه أنهم يقولون : هو أشحُ الناس رجلاً , وهما خير الناس اثنين[2] . وهذا ما درج عليه الزجاج[3] في تفسيره) .

و يقيس على باب آخر بقوله : (قلت : وقريب منه استعمال تمييز (نعم) توكيدًا في قول جرير :

تزود مثل زادِ أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا[4]

وهنا لنا أربع وقفات :

الأولى : اختلف المعربون في (ذكرا)، فذهب أبو حيان إلى أن (أشد) حال و (ذكرا) إما أن تكون معطوفة على محل الكاف في (ذكركم) , أو تكون مصدرا لقوله (فاذكروا) . و ذهب غيره الى أنها تتميز , و استشكلوا ذلك بأن أفعل التفضيل يجب أن تضاف الى ما بعدها اذا كان من جنس ما قبلها , فيقال :(أو أشد ذكرا) بالجر فقط . و أجيب بأربعة احتمالات :

1- أن يجعل الذكر ذكرا مجازا كقولهم : (شعر شاعر) قاله الفارسي و صاحبه .
2- أن يجعل (أشد) من صفات الأعيان لا من صفات الأذكار , قاله, الزمخشري .
3- أن يجعل (أشد) حالا من (ذكرا) , قاله أبو حيان .
4- أن تنصب (أشد) باضمار فعل اخر , قاله مكي .

(1) المصدر السابق،(245/2).
(2) الكتاب (205/1).
(3) معاني القرآن (274/1)، قال : وإن شئت كان نصبا على واذكروه أشد ذكرًاو"ذكرًا" منصوب على التميز.
(4) الشاهد في شرح التسهيل (15/3(،وشرح الكافية الشافية (1107/2)،و الخزانة(394/9)،ومعجم المفصَّل(189/1).

الثانية : قال ابن مالك – في الرد على منع سيبويه الجميع بين التمييز و إظهار الفاعل– و حامل سيبويه على المنع كون التمييز في الأصل مسوقا لرفع الإبهام .

و الإبهام إذا ظهر الفاعل زال فلا حاجة إلى التمييز , و هذا الاعتبار يلزم منه منع التمييز في كل مالا إبهام فيه . كقولك ; له من الدراهم عشرون درهما و مثل هذا جائز بلا خلاف[1] . جعل سبب الجواز التوكيد لا رفع الإبهام .

الثالثة : توجيهه بقوله : كما حكى سيبويه . لابن المنير _ رحمه الله _ و لم يعزه ابن عاشور اليه . و جعله ابن المنير فرقا عن تخريج ابن جني على التأويل ب (شعر شاعر) فقال :(و يحتمل عطفه على الذكر و جها اخر , و هو أن يكون من باب ما ذكر سيبويه , قال : و يقولون هو أشح الناس رجلا , و هما خير الناس رجلا و هما خير الناس اثنين . فالمرور هنا بمنزلة التنوين , و انتصب (الرجل) و (الاثنين) كما انتصب (الوجه) في قولك : هو أحسن منه وجها . و لا يكون الا نكرة و كما لا تكون الحال الا نكرة , و (الرجل) هو الاسم المبتدأ . فانما أراد بذلك أن هذا ليس بمثابة ; هو أشح الناس غلاما ; فان هذا يجوز أن يكون (غلاما) هوالاسم المبتدأ كما في المثال الأول , و يجوز أن يكون غيره , فالاية منزلة على المثال الأول :فيكون (ذكرا) المنصوب واقعا على (أشد) كما كان (الرجل) المنصوب واقعا على (أشح) , فكأنه قال : أو أشد الأذكار ذكرا . و نص على أنه زاد هذا الوجه , وأنه استنبطه من كتاب سيبويه .

الرابعة : هذا الشاهد استشهد به ابن عاشور بنا على ما ذهب اليه من أن الإشكال ناتج عن أن تمييز الشيء بمرادفه ينافي القصد من التمييز الذي هو إزالة الإبهام . و قد بينت استشكال المفسرين و المعربين , بالإضافة إلى أن هذا الشاهد رفضه من يفرقون بين الحال و التمييز بأن الحال تأتي مؤكدة و التمييز لا يقع كذلك قال عنه ابن هشام :

(1) شرح التسهيل(15/3).

(الصحيح أن (زادًا) معمول لتزود , إما مفعول مطلق إن أريده التزود , أو مفعول به إن أريد به الشيء يتزوده و أفعال البر , وعليهما فـ ((مثل)) نعت له تقدم فصار حالا) . ابن عاشور هنا يأخذ برأي المبرد و ابن السراج و الفارسي و ابن مالك و ابن عصفور[1].

وانتقل ابن عاشور إلى الجر فقال : و أن يكون (أشد) معطوفا على (ذكر) المجرور بالكاف من قوله (كذكركم) .

ثم وقع ابن عاشور في خلط عجيب اذ قال : (ولا يمنع من ذلك ما قيل امتناع العطف على الجر بدون إعادة الجار ; لأن ذلك غير متفق عليه بين أئمة النحو , فالكوفيون لا يمنعون ووافقهم بعض المتأخرين مثل ابن مالك[2] و عليه قراءة حمزة (واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام) [النساء1] بجرالأرحام).

فتحدث ابن عاشور عن حكم العطف على الضمير المتصل المجرور و هذه مسألة خلاف[3] كما ذكر ابن عاشور .

وفي ختام هذا المبحث الذي تتبعنا فيه الشيخ ابن عاشور وموقفه من استخدام النحو و الإعراب في " التحرير والتنوير" خرجنا ببعض الملاحظات على مسلكه هذا منها:

أولاً: استطراده في إعراب كثير من الآيات، في حين كان بإمكانه أن يقتصر فيستوعب ويوجز فيأتي بالفائدة: أقول أن هذا الأسلوب بلغ به حد التكلف دونما حاجة إلى ذلك و خرج عن إطار كان من المتوقع أن يلتزم به كمفسر لا كعالم لغوي كما هو الشأن في إعرابه.

ثانياً: أن غزارة المادة النحوية التي اشتمل عليها التحرير و التنوير كانت من الكثرة الهائلة بحيث أنها لو جمعت في كتاب مستقل أمكن أن نؤلف به كتاباً مستقلاً شبيهاً بكتب

(1) مغني اللبيب ط الكويت (421،422/5)

(2) شرح التسهيل (375/3)،وكذلك ابن هاشم قال بقول ابن مالك :أوضح المسالك(348/3).

(3) انظر تفاصيل المسألة في الإنصاف لابن الأنباري (3/2-12)، المسألة الخامسة و الستون).

الأعاريب التي عنيت بإعراب الآيات فقط، ككتاب " مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب و كتابي " معاني القرآن" لكل من الزجاج و الفراء.

ثالثاً: الشيخ ابن عاشور في استشهاداته النحوية يتمثل بآراء الخليل و سيبويه أكثر مما يفعل مع غيرهما من النحويين كالفراء مثلاً أو الكسائي وهذا إن دل على شيء فإنما يدلنا على انحيازه لآراء البصريين في النحو.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ... وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (1)

قال الشيخ: (... ووزن شيطان اختلف فيه البصريون و الكوفيون من علماء العربية فقال البصريون: هو فيعال من شطن بمعنى بعد، لأنه أبعد عن رحمة الله، و عن الجنة فنونه أصلية.

وقال الكوفيون: هو فعلان من شاط بمعنى هاج واحترق أو بطل ووجه التسمية ظاهر ولا أحسب هذا الخلاف إلا أنه بحث عن صيغة اشتقاقه فحسب أي البحث عن حروفه الأصول وهل أن نونه أصل أو زائد وإلا فإنه لا يظن بنجاة الكوفة أن يدعو أنه يعامل معاملة الموصف الذي فيه زيادة الألف و النون، مثل غضبان، وقال ابن عطية: ويرد على قول الكوفيين أن سيبويه حكى أن العرب تقول:تشيطين إذا فعل الشيطان فهذا يبين أنه من شطن وإلا لقالوا تشييط) (2)

(1) سورة البقرة، الآية: 14.

(2) التحرير و التنوير:290/1.

المطلب الثاني: آراء ابن عاشور في النحو و الإعراب:

قبل الشروع في الجانب التحليلي لابد من إبراز نقاط أربع تساعدنا على فهم ما ارتآه ابن عاشور وتبريره، إذ من خلالها يتبين لنا الخط الفكري للرجل تجاه النحو و الإعراب وآراء النحاة وقواعدهم.

الأولى:

الطاهر ابن عاشور أحد المجددين في العصر الحديث أو المصلحين على حد عبارته "آراء إصلاحية"، والرجل له موقف من النحو والإعراب نستطيع أن نستنتجه من العبارات الآتية:

1-: "ومدونات النحو ما قصد بها إلا بضبط قواعد اللغة العربية الغالبة ليجرى عليها الناشئون في اللغة العربية، وليست حاصرة لاستعمال العرب".[1]

2-: "وليس النحو- كما يعتقده كثير ممن تبين وجه الحاجة إليه - أصلا للتفاهم بحيث لا يكاد يفهم كلام دونه، كما قالوا في مسألة (ما) التي يتغير المعنى معها بحسب إعراب ما بعدها، فتكون تعجبًا أو استفهامًا أو نفيًا، في نحو: ما أحسن فلاناً، لأن ذلك مثال نادر ربما لا نجد له ثانياً، والفهم قد يحصل بالعلاقات و القرائن من غير قواعد النحو، وإنما النحو تحسين للكلام، وهو من أجل طور من أطوار ارتقاء اللغة، وهو مبدأ البلاغة، أي إيصال فهم السامع إلى المراد بطريق أوضح يبلغ به مراد المتكلم، ونحن نشتغل به لنتكلم كما تكلم العرب".[2]

3-: ويؤكد الصلة بين النحو والبلاغة بقوله:"وإنما يفيد النحو اختصار طريق التفاهم، فهو إذن مقدمة علم البلاغة، وتمهيد للبحث عن أسلوب العرب في التعبير، ومن أجل ذلك كثر فيه البحث عن الجائز وغير الجائز والسماعي. وقد لبث علم البلاغة حيناً

(1) التحرير والتنوير، (103/7).

(2) أليس الصبح بقريب، (ص190).

طويلا مندرجًا في كتب النحو العليا، مثل كتاب سيبويه. ولا تزال أطلاله اليوم في علم النحو".[1]

الثانية:

يرى ابن عاشور أن هناك فسادًا قد تسرب لعلمي النحو والصرف، ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب:

1-:إطالة المباحثة في النحو والصرف بتبيين العلل والأسباب، ويعقب بقوله: "وبذلك تنعدم فائدة تعلم اللسان حتى إذا أُخْتُبِرَ التلميذ الذي قضى مدة في تعلم النحو والصرف، لا تجد عنده غير محفوظات من الشواهد وقضايا من الحجاج واللجاج، أما حسن التعبير أو رعى قواعد الفنيين فهما عنه بمفازة".[2]

2- كثرة الخلاف بين علماء الفنَّين، خصوصًا بين البصريين والكوفيين، ويقول: "ولو نخلوا الخلاف لرأوا أن أكثره إلى اللفظ من مستدركات يستدركونها، وجزيئات يتقاسمونها، وقواعد تجيء اللغة على خلافها فيؤولونها".[3]

ويوضح سمة كل مدرسة بقوله:"وفي الغالب يميل البصريون مع القياس والتأويل ويقبلون النادر". [4]

ويلتمس العذر لرؤوس المدرستين، لائمًا أتباعها بقوله: "وجميعهم معذورون يومئذ ببعد الأقطار، وإنما الملوم أولئك الذين انتحلوا مذاهبهم وأقاموا التعصب مقام التحقيق".[5]

(1) المرجع نفسه، (ص193).
(2) المرجع السابق، (ص191).
(3) المرجع نفسه، (ص191).
(4) أليس الصبح بقريب، (ص192).
(5) المرجع نفسه، (ص191)

ويُبَيَّن رأيه في المتأخرين بقوله: "وقد كان أبو حيان الأندلسي شديد العصبية لمذهب البصريين، وكان ابن مالك حكمًا عدلاً بين الفريقين، فنال بذلك عداوة أبى حيان". (1)

3- الاستناد إلى أمثلة مصنوعة أو موضوعة أو منحولة يجعلونها أصلاً للقواعد، فالأولى أبعدت الأذواق عن الأسلوب العربي، والثانية والثالثة أعقبتا خطأ في استنباط القواعد. (2)

ويعقب بقوله: "فإن من الشواهد ما لا يعرف قائله". ويذكر ثلاثة أسباب للخطأ في الاستنباط:

أ- "وأما خطأ الاستنباط عن اللحن فنحو ما قالوا في: "مكرهٌ أخاك لا بطل" فجعلوا به الأسماء الخمسة قد تلزم الألف مع تصريح الأئمة مثل الجاحظ في كتابه (البيان) بأنه لحن".

ب- "ومنه ما ينشأ عن سوء النقل".

ج-"ومنه ما نشأ عن فهم غير صحيح".

الثالثة:

يمكننا قبول بعض توجيهات ابن عاشور الإعرابية من خلال هذا النص من كلامه في بداية تفسيره، يقول: "وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لم يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعى انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متفهم، وقديمًا قيل:

(1) المرجع نفسه، (ص191)

(2) المرجع نفسه، (ص192).

"هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ؟!".[1].

ولذا فلا عجب أن نجد في الجانب التحليلي أقوالاً وتوجيهات لابن عاشور يخالف فيها سابقيه، إذ لا حرج عنده "أن يقول المفسر في القرآن برأيه، لأن المنهي عنه هو القول بما تساعد اللغة والبلاغة على قبوله"، ونقل قول الفخر: ثبت أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجهًا في تفسير الآية، فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، ولولا جواز ذلك لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في التفسير مردودة باطلة، وذلك لا يقوله إلا مُقَلِّدٌ خُلْف".[2]

الرابعة:

ابن عاشور – رحمه الله– لم يجعل كتابه لاستقصاء مسائل النحو وأقوال النحاة في توجيه آي الذكر الحكيم، ويكفينا في هذا المقام إنكاره على

أبي حيان، إذ يقول: "وتوسع بعض المفسرين في جلب مسائل النحو، مثل[3] صنيع أبي حيان في "البحر المحيط"، فخرجوا عن الغرض".

فهو إلى البلاغة أقرب؛ إذ يثنى على صنيع الزمخشري بقوله: "وأرشدهم إلى الغرض من التفسير الذين جعلوا تفاسيرهم من جهة البلاغة، ولعل أولهم العلامة الزمخشري صاحب "الكشاف" إمام البلاغيين، حين رأى من ضعف الناس في فهم دقائق القرآن".[4] وهو يستأنس بكلام الزمخشري في خطبة كتابه: "...والنحوي وأن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما المعاني والبيان".[5] وقبل

(1) التحرير والتنوير، (8/1). والبيت لعنترة من بحر الكامل، وهو مطلع معلقته. انظر: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها. للشنقيطي (ص154).

(2) أليس الصبح بقريب، (ص163).

(3) المرجع السابق، (ص161).

(4) المرجع نفسه، (ص161).

(5) المرجع نفسه، (ص164). وانظر: الكشاف، (16/1).

الشروع في الجانب التحليلي نشير إلى أن لابن عاشور مكانة في اللغة والنحو، فكما قال عنه أحد الباحثين: "فهو مبرز في العربية وعلومها، عليم بأسرارها وقواعدها". [1]ومن ثم كان الوقوف على آرائه في مسائل النحو والإعراب من خلال توجهاته الإعرابية ذات القيمة العلمية نستطيع استنتاجها من خلال الدراسة العامة،وفيهذا الفصل خاصة.

ومن المسائل النحوية التي وردت في تفسير التحرير والتنوير مسألة "المنصوبات المتشابهة" وهذا على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر.

وأعرض فيه لتوجيه ابن عاشور لآيات اشتملت على أسماء منصوبة تعددت فيها أوجه الإعراب؛ للوقوف على موافقته لمن تناولوها قبله أو مخالفته، مع مناقشة ما اعتمده في ترجيحه أو توجيهه.

فقد شغل الاسم المنصوب اهتمام النحاة منذ البدايات الأولى للتصنيف في علم النحو، ويرجع ذلك لتعدد عوامل النصب من جهة، ولكونها ملفوظة ومحذوفة من جهة أخرى، بالإضافة إلى كون الغالب في الاسم المنصوب أن يكون فضله، وليس عمدة في جملته، عدا الجملة الاسمية المنسوخة.

وبالرجوع إلى "الكتاب" الذي يعد أول التصانيف المعتبَرة في علم النحو،نجد سيبويه يفرد أبوابًا عديدة ومتنوعة لبيان عامل النصب [2]، ويشير أيضًا إلى النحو والصرف على حالها فقد كثرت مسائل النحو والصرف في التحرير والتنوير، فقد كان إعراب الآيات عند ابن عاشور وسيلة أساسا في فهم دلالاتها والأحكام المستنبطة منها، ومن ثم رجع صاحب التحرير إلى كثير من كتب النحو والصرف لمتقدمي النحويين ومتأخريهم باحثاً عما يعنيه في فهم دلالة التراكيب من الوجهة النحوية أو تطور بنية الكلمة من الناحية الصرفية، سواءٌ سمى هذه الكتب أو اكتفى بالعزو إلى مصنفيها.

(1) الباحث عبد الرحمن فودة في مقدمة رسالته للدكتوراه بعنوان: الجهود البلاغية لمحمد الطاهر ابن عاشور، (ص12).
(2) انظر: على سبيل المثال: الكتاب (273/1، 280، 29، 311، 340).

والأمثلة التالية تقتصر على أهم الكتب التي سماها بأسمائها، ولا يعني هذا أنه لم يرجع إلى غيرها ممن ذكر مؤلفيها؛ كالفراء والمبرد والزجاج وغيرهم من العلماء الذين لهم مصنفات في النحو والصرف، فمن أهم مصادره في النحو والصرف:

1-كتاب سيبويه:

وقد أكثر ابن عاشور من الرجوع إليه ونقل رأيه، مثل صنيعه في موقف سيبويه من دلالة أساليب الدعاء لا للدعاء نفسه مستندا في ذلك إلى قاعدة قعدها سيبويه في كتابه يقول ابن عاشور:"ومعنى ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ...**﴾ [1]: دعاء مستعمل في إنشاء الغضب والزجر، قال سيبويه: لا ينبغي أن يقال: (ويل للمطففين) دعاء لأنه قبيح في اللفظ، ولكن العباد كُلِموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم على مقدار فهمهم أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم"[2].

2- إيضاح المفصل لابن الحاجب[3]

وهو شرح مفصل الزمخشري، رجع إليه ابن عاشور في بعض المواضع، منها نكتة التقديم في قوله تعالى: ﴿**إِيَاكَ نَعْبُدُ...**﴾ [4] قال: "وزعم ابن الحاجب في إيضاح المفصل في شرح ديباجة المفصل عند قول الزمخشري" الله أحمُد" أن التقديم لا يفيد إلا الاهتمام دون الحصر، وأن قوله تعالى: ﴿**إِيَاكَ نَعْبُدُ**﴾ تقديم للاهتمام دون القصر"[5] ، إلا يليق بمقام ابن

(1) سورة البقرة: 79.

(2) التحرير والتنوير (576/1-577)، وانظر الكتاب (331/1).

(3) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو: ففيه مالكي من كبار العلماء بالعربية كردي الأصل، كان أبوه حاجبا فعرف به، من تصانيفه: الكافية في النحو، والشافية في الصرف، والإضاح في شرح المفصل للزمخشري، ولد في إسنا (من صعيد مصر) ومات بالإسكندرية سنة 647هـ.

(4) سورة الفاتحة: 5.

(5) التحرير والتنوير(183/1) وانظر الإيضاح في شرح المفصل- تحقيق د. موسى العليلي- مطبعة العاني- بغداد(47/1).

عاشور لم يوافق على هذا الرأي ووصفه في عمومه بأنه لا يليق بمقام ابن الحاجب العلمي[1]

3- شرح المفصل لابن يعيش:(556-643) بغداديون متأخرون

وقد أفاد منه ابن عاشور في بعض المواضع، منها دلالة إعادة الحرف في مثل قوله تعالى في ذكر المائدة: ﴿**تَكُنُ لَنَاَ عْيداً لأوَلِنَا وَءَاخِرِنَا**﴾[2] .قال: "وقد جعل ابن يعيش في شرح المفصل ذلك تأكيد، قال: لأن الحرف قد يتكرر لقصد التأكيد"[3]

4-التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري(585هـ616)

وقد رجع إليه في بعض المسائل وتبنى رأيه، وقدمه على رأي الجمهور في اعتبار سياق قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَتْ قرية ءَامَنَتْ فَنَفْعَهَآإِيمَانُهَآ إِلاَّ قَومَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عذَاب الخِزْيِ فِي الحَيَوةِ الدُّنْيَا ومتعنهم إلى حين(98)** ﴾[4] سياق إثبات لا نفي، ومن ثم عدَّ الاستثناء استثناءَ متصلا لأنه استثناء "من كلام موجب فلذلك انتصب قوله: (إلا قوم يونس)، فهذا وجه تفسير الآية، وجرى عليه كلام العكبري في (إعراب القرآن) والكواشي في(التلخيص)ن وجمهور المفسرين جعلوا جملة (فلولا كانت قرية آمنت) في قوة المنفية، وجعلوا الاستثناء منقطعا منصوبا، ولا داعي على ذلك" [5].

---

(1) التحرير والتنوير (183/1) ومن مواضع ذكر إيضاح المفصل انظر التحرير والتنوير (246/2)، (353/1).

(2) سورة المائدة:114

(3) التحرير والتنوير(289/11) وانظر شرح المفصل (68/3) ومن مواضع ذكر شرح التبيان انظر التحرير والتنوير (519/1).

(4) سورة يونس: 98.

(5) التحرير والتنوير (289/11) وانظر التبيان في إعراب القرآن (527/1) ومن مواضع ذكر التبيان انظر التحرير والتنوير (519/1).

5- شرح الشافية للرضي[1] : بغدادي

وهو يرجع إليه باسم (شرح الشافية) وقد أفاد منه في مواضع، منها دلالة صيغة (تفاعل) على المبالغة عند تفسير قوله تعالى: ﴿...فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[2] قال:"وصيغة تفاعل، صيغة مطاوعة في الأصل، وأصل المطاوعة قبول أثر الفعل وتستعمل في لازم ذلك وهو التلبس بمعنى الفعل تلبسا مكينا، لأن شأن المطاوعة أن تكون بعد معالجة الفعل، فتقتضي ارتساخ معنى الفعل في المفعول القابل له حتى يصير ذلك المفعول فاعلا فيقال: كسرته فتكسر فلذلك كان تفاعل إذا جاء بمعنى فَعَلَ دالاً على المبالغة كما صرح به الرضي في شرح الشافية"[3]

6- شرح الكافية للرضي: بغدادي

وقد رجع إليه في بعض المواضع واستعمله في الدلالات النحوية، مثل دلالة حرف النداء في قوله تعالى: ﴿يأيها الناس....﴾ [4] فقد أفاد من عبارته في تأكيد دلالة (يا) على نداء القريب والبعيد على السواء خلافا للزمخشري، "قال الرضي في شرح الكافية: إن استعمال (يا)في القريب والبعيد على السواء، ودعوى المجاز في أحدهما أو التأويل خلاف الأصل وهو يريد بذلك الرد على الزمخسري إذ قال في الكشاف: و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، ثم استعمل في مناداة من سها أو غفل وإن فرب تنزيلا له منزلة من بعد" [5]

---

(1) محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، نجم الدين: عالم بالعربية، من أهل أستراباذ (من أعمال طبرستان) صاحب شرح الكافية.

(2) سورة المؤمنون: 14.

(3) التحرير والتنوير (25/18) وأنظر شرح الشافية – تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت 1395هـ (104/1).، ينظر: ومن مواضع ذكر شرح الشافية انظر التحرير والتنوير (114/10)، (30/25).

(4) سورة البقرة الآية21.

(5) التحرير والتنوير (324/1) وأنظر شرح الرضي كافية ابن الحاجب – تحقيق د. يحي بشير مصري – ط1/جامعة الإمام محمد بن سعود 1417هـ –

7- المفصل للزمخشري: بغدادي

وقد رجع إليه كثيراً، وقيد عنه أشياء مهمة ومن ذلك تفسيره لاستعمالا لجمع في مقام التثنية في قوله تعالى: ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما....**﴾ [1] وهو عند ابن عاشور "استعمال للعرب غير جار على القياس" [2]، وقد أشار إلى ترجيح ابن مالك في التسهيل أن يعبر بالاسم المفرد وغلطه أبو حيان في ذلك، ثم نقل ابن عاشور عن الزمخشري في المفصل هذطا التعبير بقيد أن لا يكون اللفظان متصلين، فقال: ويجعل الاثنان على لفظ جمع إذا كانا متصلين كقوله: **(فقد صغت قلوبكما)**. ولبم يقولوا في المنفصلين: أفراسهما ولا غلمانهما.." [3][4]

8-شرح التسهيل للمرادي:

وقد رجع إليه مرارا في تحقيق بعض المسائل اللغوية والنحوية، كتحقيق أشهر اللغات في فعل التأوه عند تعرضه لمعنى (أوه)، وهو "الذي يكثر قول (أوه) بلغاته الثلاث عشرة التي عدها في القاموس وأشهرها: أوه بفتح الهمزة، وواو مفتوحة مشددة وهاء ساكنة، قال المرادي في شرح التسهيل: وهذه أشهر لغاتها"[5]

9-الكافية لابن مالك: أندلسي

وقد رجع إليها واستشهد بأبياتها مرارا لتثبيت ما يذهب إليه في دلالات بعض ألفاظ القرآن،ومن تقريره أن (هاء) التأنيث التحقت بوصف مرضعة "للدلالة على تقريب الوصف من معنى الفعل، فإن الفعل الذي لا يوصف بحدثه غير المرأة تلحقه علامة التأنيث ليفاد بهذا التقريب أنها في حالة التلبس بالإرضاع... لأن هذا الوصف من خصائص الأنثى، فلا

(1) سورة التحريم: 4.

(2) التحرير والتنوير (357/29).

(3) ومن مواضع اكر المفصل انظر التحرير والتنوير (357/28)، (109/8).

(4) المصدر نفسه وأنظر المفصل ص(226) والمقصود بالمتصلين أن يتصل المضاف بالمضاف إليه بأن يكون عضوا منه كالرأس والقلب واليد، وبالمتصلين أن يكون المضاف شيئا خارجا عن المضاف إليه كغلام الرجل وبيته وفرسه ونحو ذلك.أنظر: شرح المفصل لابن يعيش (155/3-157).

(5)التحرير والتنوير (46/11) ومن مواضع ذكر التسهيل للمرادي أنظر التحرير والتنوير(536/30)، (300/30

يحتاج معه إلى (الهاء)." [1] وقد استشهد لهذا المعني الذي ذكره بنظم ابن مالك في كافته فقال: "وهذا من دقائق مسائل نحاة الكوفة، وقد تلقاها الجميع بالقبول ونظمها ابن مالك في أرجوزته الكافية بقوله:

وما من الصفات بالأنثى يخص عن 'تاء) استغنى لأن اللفظ نص وحيث معنى الفعل ينوي (التا) ترد كذي غدا مرضعة طفلاً ولدَ" [2]

10- شرح الكافية لابن مالك: أندلسي

وهو شرحه لأرجوزته وقد أفاد منه ابن عاشور في مواضع في المسائل النحوية ومن ذلك دلالة (اللام) الجارة في قوله تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرءان للذكر....**﴾ [3] فهذه اللام عنده "تدل على أن الفعل الذي تعلقت به فعل لانتفاع مدخول هذه اللام به، فمدخولها لا يراد منه مجرد تعليع فعل الفاعل كما هو معنى التعليل المجرد....، ولكن براد أن مدخول هذه اللام علة خاصة مراعاة في تحصيل فعل الفاعل لفائدته" [4] ومن ثم "فهذه اللام من القسم الذي سماه ابن هشام في مغنى اللبيب: شبه التمليك ويقصد ابن هشام بشبه التمليك التمليك غير الكامل بدليل أنه مثل له بقوله تعالى: ﴿**.....جعل لكم من أنفسكم أزواجا..**﴾ [5] بينما مثل للتمليك بقوله: "وهبت لزيد ديناراً". ، وتبع في ذلك ابن مالك في شرح التسهيل. وأحسن من ذلك تسمية ابن مالك إياه في شرح كافيته وفي الخلاصة معنى التعدية"[6] .وقد بسط ابن عاشور (القول في هذه اللام لدقة معناها) عنده.

(1)التحرير والتنوير (189/18).

(2)ومن مواضع ذكر الكافية انظر التحرير والتنوير (557/1)

(3)سورة القمر:17

(4)التحرير والتنوير (189/28).

(5) سورة النحل، الآية 72.

(6)التحرير والتنوير (189/28-190) وانظر شرح الكافية الشافية (802/2).

11- مغنى اللبيب لابن هشام: مصري

وقد رجع إليه كثيرا مقررا لكلامه ومستشهدا به أو مناقشا إياه وناقدا له [1]، ومن أمثلة إفادتهمنه استشهاده بقوله في تقرير مجيء (هل) الاستفهامية لمعنى النفي قال: "أثبته مغنى اللبيب استعمالاً تاسعا قال: أن يراد بالاستفهام بها النفي ولذلك دخلت على الخبر بعدها (إلا) نحو ﴿**هل جزاء الإحسن إلا الإحسان60**﴾[2][3].

12- شرح التسهيل لابن مالك: أندلسي

وقد أفاد منه في مواضع عديدة على الرغم من أنه لم يقف عليه، كما صرح بذلك في تفسيره لسورة التوبة[4]، فقد أفاد منه من خلال شروحه التي رجع إليها، ومن أمثلة إفادته منه تقريره حذف خبر (إن) الأولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اَلْذِين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز﴾ [5] خلافا لجماعة من اللغويين، ومن أهم ما استند إليه في ذلك أن أبن مالك " قد مثل في شرح التسهيل لحذف خبر (إن) بهذه الآية"[6][7].

13-التذكرة لأبي علي الفارسي:

وقد أفاد منه في بعض المسائل النحوية ودلالات الأساليب،مثل دلالة أسلوب الترجي على الطلب فإن"(لعل) من موجبات تعليق أفعال القلوب على ما أثبتته أبو علي

(1)انظر التحرير والتنوير (208/15)، (191/21)، (381/23).

(2)سورة الرحمن: 60،

(3)التحرير والتنوير (45/20)) وانظر مغنى اللبيب (659/1) ومن مواضع ذكر مغنى اللبيب انظر التحرير والتنوير (137/26)، (207/15)، (269/3).

(4)التحرير والتنوير (202/10).

(5)سورة فصلت: 41.

(6)التحرير والتنوير (308/24) وانظر شرح التسهيل،لابن مالك- تح عبد الرحمن السيد، محمد بدوي، ط1/ هجر للطباعة والنشر 1410هـ (15/2).

(7)ومن مواضع ذكر شرح التسهيل انظر التحرير والتنوير (559/1)، (59/2).

الفارسي في التذكرة إلحاقا للترجي بالاستفهام في أنه طلب" [1].وتتكرر في التحرير والتنوير أسماء نحاة لهم مصنفاتهم، مثل المبرد الذي صنف المقتضب في النحو، والسهيلي وكتبه في النحو مشهورة،كما رجع ابن عاشور إلى كتب نحوية أخرى غير هذه التي مثلت بها مثل:

1- المسائل الدمشقيات لأبي علي الفارسي[2].

2- كتاب ليس في كلام العرب[3]لابن خالويه [4].

3- شرح لامية الأفعال لابن مالك الآندلسي[5].

4- التصريح على التوضيح [6] لخالد الأزهري[7].

(1) التحرير والتنوير (106/30) وهو مفقود لم يعثر عليه، وصفه أبو حيان بأنه كتاب كبير، وذكر البغدادي أنه اطلع على نسخة منه بخط أبي حيان، انظر هامش همع الهوامع في شرح جمع الجوامع–السيوطي– تحقيق سالم مكرم– ط/عالم الكتب 1421هـ (30/1).

(2)انظر التحرير والتنوير (343/1).

(3)انظر المصدر السابق (262/1).

(4)الحسين بن أحمد خالويه أبو عبد الله : لغوي، من كبار النحاة، أصله من همذان استوطن حلب، وعظمت بها شهرته ومن كتبه: ليس في كلام العرب، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز والبديع في القراءات السبع، توفي سنة 370هـ بحلب. انظر البغية (529/1) والأعلام (231/2).

(5)انظر التحرير والتنوير (141/13).

(6) ينظر المصدر السابق (343/1).

(7) خالد بن عبد الله بن أبي الجرجاوي الأزهري: نحوي من أهل مصر، نشأ وعاش في القاهرة، من تصانيفه: المقدمة الأزهرية في علم العربية، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، وشرح مقدمة الجزرية في التجويد، توفي سنة 905هـ.انظر الأعلام (297/2).

الفصل الثالث

اجتهادات ابن عاشور النحوية والمدارس النحوية القديمة

المبحث الأول : مدرستا البصرة و الكوفة

المبحث الثاني : مدارس بغداد و مصر و الأندلس و المغرب

المبحث الأول:

مدرسة البصرة والكوفة

المطلب الأول: مدرسة البصرة.

المطلب الثاني: مدرسة الكوفة.

المطلب الأول: مدرسة البصرة

أولا: تمهيد:

إن الحديث عن البصرة هو الحديث عن النحو العربي منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر فالذي لا شك فيه أن النحو – بصورته المعروفة – نشأ بصريا، وتطور بصريا ويكاد يجمع الدارسون على أن النحو العربي نشأ لحفظ القرآن من "اللحن" وهم يقدمون في ذلك روايات كثيرة، عن أبي الأسود الدؤلي. وصنيعه في النحو من أنه نفسه وضع النحو، أو أنه أخذه عن سيدنا علي أبي طالب – كرم الله وجهه – حين وضع له أبوابا وقال له: أنح هذا النحو... إلى آخر تلك الروايات.

غير أن الشيء الوحيد الثابت أن أبا الأسود وضع ضبط القرآن بالنقط وأنه قال لكاتبه "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، و إن ضممت في فأنقط نقطة بين يدي الحرف، و إن كسرت فأجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فأنقط نقطتين" (1)

وكان هذا العمل الخطوة الأولى في عمل النحو، ومن الواضح أن الحركات الاصطلاحية أخذت عن أبي الأسود، ولم يكن هذا العمل يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط، وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الإسلامية. ذلك أن المسلمين عرفوا . بداية . أن عليهم أن يقرؤوا القرآن و أن يفهموه، لأنه هو الذي ينظم حياتهم، ومن ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم، فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني الكريم (2)

(1) مصادر التراث النحوي . محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر . القاهرة، دط، 2003، ص35.

(2) دروس في كتب النحو . عبده الراجحي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، دط، ص10.

فالنحو إذاً نشأ لفهم القرآن، وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص وعلم يسعى لحفظه من اللحن، ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي، ومحاولة الفهم هذه هي التي حددت مسار المنهج لأنها ربطت درس النحو بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص، ومن ثم فإن دراسة منهج النحو عند العرب لا تكون صحيحة إلا مع اتصالها بدراسة العلوم العربية الأخرى وخاصة الفقه والكلام.

ولقد كان للبصرة فضل السبق إلى وضع النحو منذ القرن الأول للهجرة واستمرت جهود المدرسة على أيدي أعلامها الأوائل، كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، حتى كان الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه اللذان يعتبران بحق الواضعين للنحو بصورته المعروفة.

وأن البصرة هي التي عرفت في تاريخ النحو بأنها المدرسة التي وضعت أصول القياس النحوي، وأنها كانت تسعى إلى أن تكون القواعد مطردة اطرادا واسعا، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها أساسا لوضع قانون نحوي، ولذلك كانت تتحرى صحة الاستقراء.

كما رفضت الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، لما ادعى من جواز روايته بالمعنى ولدخول كثير من الأعاجم في هذه الرواية [1].

إن مدرسة البصرة هي التي شادت بناء النحو الشاهق، وقد تسلمت منها مدرسة الكوفة، ثم المدرسة البغدادية وما خلفها من المدرستين الأندلسية والمصرية هذا البناء كاملا ومضت كل مدرسة تحاول أن تدخل هذا البناء من الإضافات ما يتيح لها أن تكون ذات منهج جديد[2].

(1)المصدر السابق، ص 11.

(2)المدارس النحوية ، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط5، 1983، ص 150.

"ويمنحنا هذا الوصف للبصرة معرفة دقيقة لطبيعة الناس الذين شكلوا المجتمع البصري وخصائصه الاجتماعية ذات الأصول المختلفة، وأنواع الثقافات وهو ما لم يكن متوافرا في الكوفة مثلا" [1].

ولم يقل حظ الجانب الثقافي على طبيعة المجتمع ونوعية أفراده المختلفين، إذا كانت البصرة محطة أساسية لنشأة ثقافة واسعة وتربة خصبة لتنويع مصادر تلك الثقافة، فقد حوت مدارس قرآنية عني بها القراء، قرؤوا القرآن الكريم، وعملوا على تفسيره وتدريسه كما يشير إلى ذلك صاحب البيان والتبيين[2] وهو مصدر هام من مصادر الثقافة العربية وأول كتاب في اللغة العربية.

فكانت المدارس لقراءة القرآن الكريم وتفسيره، وحلقات المساجد التي اتخذها المعلمون لتعليم الصبيان دينهم ولغتهم.

كما اهتم بعض الناس بالشعر وتدوينه. كما كان (المربد) الذي كان يمثل "عكاظ الإسلام"[3] وهو سوق في ظاهر البصرة من الأماكن المهمة في حياة البصرة الثقافية، فقد اتخذه الشعراء– إضافة إلى كونه سوقا تجارية– ملتقى لهم ينشدون فيه أشعارهم ويسمعون من النقاد آراءهم، وقد أفاد منه اللغويون والرواة كثيرا وذلك للقيٍهم فيه الأعراب الوافدين من البادية، واستغله أصحاب المذاهب لمناظراتهم والدعوة لعقائدهم، إذ وجد في البصرة صراع فكري واضح بين أحزاب المسلمين وفرقهم المذهبية[4].

(1) مخطوط الشواهد النحوية بين المدارس، عبد المجيد عيساني، رسالة ماجستير، 1999، ص14.

(2) البيان والتبيين، للجاحظ، تح عبد السلام هارون، ط03 دار المعارف، القاهرة، 1،1968/283.

(3) تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي، مطبعة الإستقامة القاهرة، 1940، 386/1.

(4) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تح أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر 1960. 590/03 وما بعدها.

ثانيا:اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة البصرة.

فقد كثرت مسائل النحو والصرف في "التحرير والتنوير"، وكان إعراب الآيات عند ابن عاشور وسيلة أساسية في فهم دلالتها والأحكام المستنبطة منها. ومن ثم رجع صاحب التحرير إلى كثير من كتب النحو والصرف لمتقدمي النحويين ومتأخريهم عما يعنيه في فهم دلالة التراكيب من الوجهة النحوية أو تطور بنية الكلمة من الناحية الصرفية، سواء سمى هذا الكتب أو اكتفى بالعزو إلى مصنفيها.

ومن أمثلة هذه الكتب التي تنسب إلى المدرسة البصرية كتاب سيبويه. فقد أكثر ابن عاشور من الرجوع إليه ونقل آراء صاحبه وكان ابن عاشور في استشهاداته النحوية يتمثل كثيرا بآراء سيبويه وأستاذه الخليل أكثر مما يفعل مع غيرهما من النحويين وهذا دلالة على انحيازه الشديد لآراء البصريين.

ومن المسائل الخلافية التي انحاز فيها إلى آراء البصريين ما جاء في قوله تعالى:" **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّامَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**" (1)

والشياطين جمع شيطان– جمع تكسير – وحقيقة الشيطان أنه نوع من المخلوقات المجردة،طبيعتها الحرارة النارية وهم من جنس الجن قال تعالى في إبليس ﴿ **كان من الجن**﴾ وقد اشتهر ذكره في كلام الأنبياء و الحكماء ، ويطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر، تقول العرب فلان من الشياطين ومن شياطين العرب وذلك استعارة، ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين**﴾(2) الخ.

ووزن شيطان اختلف فيه البصريون والكوفيون من علماء العربية فقال البصريون هو فيعال من شطن بمعنى بعد، لأنه أبعد عن رحمة الله وعن الجنة فنونه أصلية وقال الكوفيون

(1) سورة البقرة الاية14.

(2)الأنعام 112

هو فعلان من شاط بمعنى هاج أو احترق أو بطل ووجه التسمية ظاهر. ولا أحسب هذا الخلاف إلا أنه بحث عن صيغة اشتقاقه فحسب أي البحث عن حروفه الأصول وهل إن نونه أصل أو زائدة وإلا فإنه لا يظن بنحاة أهل الكوفة أن يدّعوا أنه يُعامل معاملة الوصف الذي فيه زيادة الألف و النون مثل غضبان، كيف وهو متفق على عَدَم منعه من الصرف في قوله تعالى﴿ **وحفظناها من كل شيطان رجيم** ﴾[1] .وقال بن عطية ويرد على قول الكوفيين أن سيبويه حكي أن العرب تقول تشيطن إذا فعل الشيطان ، فهذا يبين أنه من شطن و إلا لقالوا تشيط . وفي الكشاف : جعل سيبويه نون شيطان في موضع من كتابة أصلية وفي آخر زائدة.

والوجه أن تشيطن لما كان وصفا مشتقا من الاسم كقولهم تنمر أثبتوا فيه حروف الاسم على ماهي عليه لأنهم عاملوه معاملة الجامد دون المشتق لأنه ليس مشتقا مما اشتق منه الاسم بل من حروف الاسم فهو اشتقاق حصل بعد تحقيق الاستعمال وقطع النظر عن مادة الاشتياق الأول فلا يكون قولهم ذلك مرجحا لأحد القولين . وعندي أنه اسم جامد شابه في حروفه مادة مشتقة ودخل في العربية من لغة سابقة لأن هذا الاسم من الأسماء المتعلقة بالعقائد و الأديان ، وقد كان لعرب العراق فيها السبق قبل انتقالهم إلى الحجاز و اليمن ، ويدل لذلك تفاوت الألفاظ الدالة على هذا المعنى في كثير اللغات القديمة. وكنت رأيت قول من قال إن اسمه في الفارسية سَيْطَان . وخلوا بمعنى انفردوا فهو فعل قاصر و يُعدّى بالباء و باللام ومن ومع بلا تضمين ويعدي بالى على تضمين معنى آب أو خلص ويعدي بنفسه على تضمين تجاوز وباعد ومنه ما شاع من قولهم ((افعل كذا وخلاك ذم)) أي إن تبعة الأمر أو ضره لايعود عليك . وقد عدى هنا بالي ليشير إلى أن الخلوة كانت في مواضع ﴿ لقوا ﴾ و﴿ خلوا ﴾. وهذا من بديع فصاحة الكلمات وصراحتها. [2]

(1) الحجر: 12

(2) التحرير ولتنوير ص291/290.

ومن القواعد التي قعدها سيبويه في كتابه، يقول ابن عاشور ومعنى" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"[1]. دعاء مستعمل في إنشاء الغضب والزجر، قال سيبويه: لا ينبغي أن يقال:(ويل للمطففين) دعاء لأنه قبيح في اللفظ، ولكن العباد كلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم على مقدار فهمهم أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم. [2]

وقال الشيخ ابن عاشور في حديثه عن لفظة كأين الواردة في قوله تعالى:" **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**"[3] . ﴿وكأين﴾ كلمة بمعنى التكثير، قيل هي بسيطة موضوعة للتكثير، وقيل: هي مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهام وهو قول الخليل وسيبويه، وليست ﴿ أي ﴾ هذه استفهاما حقيقيا ولكن المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير، فاستفهامها مجازي، ونونها في الأصل تنوين فلما رُكّبت وصارت كلمة واحدة جُعل تنوينها نونا وبُنيت والأظهر أنها بسيطة وفيها لغات أربع، أشهرها في النثر كأيّن بوزن كعيّن هكذا جرت عادة اللغويين والنحاة إذا وزنوا الكلمات المهموزة أن يعوضوا عن حرف الهمزة بحرف العين لئلا تلتبس الهمزة بالألف أو الياء التي تكتب في صورة إحداهما وأشهرها في الشعر كائن بوزن اسم فاعل كان، وليست باسم فاعل خلافا للمبرد، بل هي مخفف كأين.

ولهم في كيفية تخفيفها توجيهات أصلها قول الخليل لما كثر استعمالها تصرف فيها العرب بالقلب والحذف في بعض الأحوال.

وأنا أرى أنهم لما راموا التخفيف جعلوا الهمزة ألفا، ثم التقى ساكنان على غير حده فحذفوا الياء الساكنة فبقيت الياء المكسورة فشابهت اسم فاعل ﴿ كان ﴾ فجعلوها همزة كالياء

(1) سورة البقرة الآية 79.

(2) كتاب سيبويه (1) 331) والتحرير والتنوير ص575.

(3) سورة ال عمران الاية 145

التي تقع بعد ألف زائدة، وأكثر ما وقع في كلام العرب هو كأيّن لأنها أخف في النظم وأسعد بأكثر الموازين في أوائل الأبيات وأوسطها بخلاف كائن.

ومما ينقل عن سيبويه لدى إعراب قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِإِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّيشَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [1] ولما أعلن إبراهيم عليه السلام معتقده لقومه أخذوا في محاجته ، فجملة ﴿ وحاجه ﴾عطف على جملة﴿ **إني وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض** ﴾.

وعطفت الجملة بالواو دون الفاء لتكون مستقلة بالإخبار بمضمونها مع أن تفرع مضمونها على ما قبلها معلوم من سياق الكلام.

والمحاجة مفاعلة متصرفة من الحجة، وهي الدليل المؤيد للدعوى. ولا يعرف لهذه المفاعلة فعلُ مجرد بمعنى استدل بحجة، وإنما المعروف فعل حج إذا غلب في الحجة ، فإن كانت من جانب واحد باعتبار أن محاول الغلب في الحجة لا بد أن يتلقي من خصمه ما يرد احتجاجه فتحصل المحاولة من الجانبين، فبذلك الاعتبار أطلق على الاحتجاج محاجة ، أو المفاعلة فيه للمبالغة.والأولى حملها هنا على الحقيقة بأن يكون المعنى حصول محاجة بينهم وبين إبراهيم.

وقرء نافع، وابن عامر، وأبو جعفر ﴿أتحاجوني﴾ بنون واحدة خفيفة و أصله أتحاجونني- بنونين- فحذفت إحداهما للتخفيف، و المحذوفة هي الثانية التي هي نون الوقاية على مختار أبي علي الفارسي. قال لأن الأولى نون الإعراب وأما الثانية فهي موطئة لياء المتكلم فيجوز حذفها تخفيفا، كما قالوا، ليتني في ليتني.ذهب سيبويه أن المحذوفة هي الأولى لأن الثانية جلبت لتحمل الكسرة المناسبة للياء و نون الرفع لا تكون مكسورة، وأياما كان فهذا الحذف مستعمل لقصد التخفيف . وعن أبي عمرو بن العلاء: أن هذه القراءة

(1)سورة الأنعام االآية 80.

لحن، فإن صح ذلك عنه فهو مخطئ في زعمه، أو أخطأ من عزاه إليه.وقرأه البقية بتشديد النون لإدغام نون الرفع في نون الوقاية لقصد التخفيف أيضا، ولذلك تمد الواو لتكون المدة فاصلة بين التقاء الساكنين، لأن المدة خفة وهذا الالتقاء هو الذي يدعونه التقاء الساكنين على حدة.

فقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: أتحاجوني بنون واحدة خفيفة، وأصله أتحاجونني بنونين فحذفت إحداهما للتخفيف والمحذوفة هي الثانية جلبت لتحمل الكسرة المناسبة للياء ونون الرفع لا تكون مكسورة وأياما كان فهذا الحذف مستعمل لقصد التخفيف.

لقد دافع ابن عاشور عن قراءة " **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**"[1]

وقد ذكر الله هنا في أهل الكتاب فريقين: فريقا يؤدي الأمانة تعففا عن الخيانة وفريقا لا يؤدي الأمانة متعللين لإباحة الخيانة في دينهم ، قيل:ومن الفريق الأول عبد الله بن سلام ، ومن الفريق الثاني فنحاص بن عازوراء وكلاهما من يهود يثرب ، والمقصود من الآية ذم الفريق الثاني إذ كان من دينهم في زعمهم إباحة الخون قال ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ** ﴾فلذلك كان المقصود هو قوله ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾[2]

وتقدم المسند في قوله ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ** ﴾في موضعين للتعجيب من مضمون صلة المسند إليهما:ففي الأولى للتعجيب من قوة الأمانة ، وع إمكانية الخيانة ووجود العذر له في عادة أهل دينه و الثاني للتعجيب من أن يكون الخون خلقا لمتبع كتاب من كتب الله ، ثم يزيد التعجيب عند قوله ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ** ﴾ فيكسب المسند إليهما زيادة عجب حال.

(1)سورة آل عمران الأية75.

(2) سورة آل عمران، 75

بإسكان الهاء – فقد قرأ أبو عمر وحمزة و أبو جعفر بإسناد الهاء– وطعن الزجاج في هذه القراءة فقال[1].

"وهذا الإسناد الذي روي عن هؤلاء غلط بين لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الأصل." ومعناه–كما يقول ابن عاشور. أنجزم الجواب لا يظهر على هاء الضمير بلعلى آخر حرف من الفعل ولا يجوز تسكينها في الوصل كما في أكثر الآيات التي تسكنوا فيها الهاء، [2] . ورد ابن عاشور على الزجاج بجوابين:

- **الأول:** أن هاء الضمير سكنت إجراء الوصل مجرى الوقف.
- **الثاني:** أن هذه اللغة ثابتة عن العرب حفظها الأيمة الأعلام كالفراء وغيره، ونقل قول الفراء في ذلك: "وهو مذهب بعض العرب يجزمون الهاء إذا تحرك ما قبلها، يقولون: ضربته ضربا شديداً كما يسكنون انتمْ وقمتمْ وأصلها الرفع.

كما رد ابن عاشور أيضًا على ما زعمه الزجاج أن أبا عمرو كان يختلس الكسر فغلط عليه من نقله. فقال: وكلام الزجاج مردود أنه راعى في المشهور من الاستعمال المقيس واللغة أوسع من ذلك والقراءة حجة.

(1) معاني القرآن الكريم للزجاج، تحقيق عبد الجليل عبدو شلبي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، عام1408هـ . 1988م. 439/1

(2)التحرير والتنوير 133/03.

المطلب الثاني: مدرسة الكوفة

أولا: تمهيد:

يقول الدكتور مهدي المخزومي في نشأة النحو عند الكوفة: "الواقع أن البصرة هي التي قامت بعبء هذا العمل منذ نشأته، حتى أصبح خلقا سويا. ومر زمن طويل قبل أن تشارك الكوفة فيه، وهي إنما آخذته عن البصرة، وقد أخذته تاما ناضجا". (1)

فالنحو إذن لم ينشأ في الكوفة وإنما وفد عليها من البصرة. ونشره فيها بصريون جاءوا إلى الكوفة، واستوطنوها؛ وكوفيون رجعوا من البصرة بعدما تتلمذوا لشيوخها، لينشروا بين الدارسين ما تعلموه هناك. (2)

ومهما تكن منزلة الكوفة في النحو، فقد شعرت بالحاجة إلى الأخذ عن البصرة، والتلمذة لها، فيما كان يدور في معاهدها العلمية من معارف وثقافات، لذلك كان كثير من رجال العلم الكوفيين، يشدون الرحال إلى حلقات الدرس فيها وكان بعض أهل العلم من البصريين يقصد إلى الكوفة ويتصدر للتدريس فيها.

وشرعت الكوفة– منذ أوائل القرن الثاني للهجرة تقريبا– بشيء لنفسها مدرسة، ترسم لها منهجا جديدا، له طابع خاص. وأخذت هذه المدرسة تنهج لنفسها سبلا جديدة، حتى تم لها الاستقلال في أواسط هذا القرن، على يد علي بن حمزة الكسائي (ت179)، وتلميذه يحي بن زياد الفراء (ت207هـ).

ويقول الدكتور مهدي المخزومي: "ولا نكاد نعرف في الكوفة نحويا. بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة –قبل الكسائي، ولكن القدماء– ولعلهم من الكوفيين– أبوا إلا أن يكون لهم نحو متميز قديم، أو أن يكون لهم على الأقل– نحاة قبل الكسائي الذي أخذ عن الكوفيين. وقد ورد في كتب الطبقات أسماء لكوفيين زعموا أنهم كانوا من النحاة الكوفيين وأن مدرسة الكوفة

(1) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت . لبنان، ط3، 1986، ص36.

(2) المرجع نفسه ص39.

النحوية قد بدأت بهم ومن هؤلاء الذي ذكروا أنهم من أوائل النحاة الكوفيين وأن مدرسة الكوفة النحوية قد بدأت بهم ومن هؤلاء الذي ذكروا أنهم من أوائل النحاة في الكوفة معاذ الهراء وأبو جعفر الرؤاسي.

فأبو جعفر الرؤاسي(ت187هـ) صاحب كتاب (الفيصل) في النحو، الذي يعد من أوائل شيوخ الكوفة وأستاذ الكسائي(ت189هـ). كان تلميذًا لعيسى بن عمر الثقفي (ت149هـ) وأبي عمرو بن العلاء(ت154هـ) اللذين كانا من شيوخ البصرة. وكذلك معاذ الهراء(ت190هـ) أستاذ الفراء(ت207هـ) الذي وجه عنايته بالتصريف كان تلميذا للبصريين المذكورين والخليل(ت175هـ) ويونس بن حبيب(ت182هـ). [1]

ثانيا: مقارنة اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة الكوفة.

ومن مصادر ابن عاشور في تفسير كتاب معاني القرآن للفراء.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِيفَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْوَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّإِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِين لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [2]

قال ابن عاشور عند توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى: والجملة ﴿**ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي**﴾،بيان الجملة النهي عن لومه لأن لومه فيه تعريض بأنهم يتطلبون منه حيلة لنجاتهم، فنفي ذلك عن نفسه بعد أن نهاهم عن أن يلوموه.

(1) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، دط،دت، ص136 والدراسات الغقوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين آل يس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . ط1، 1980، ص 49.

(2) سورة إبراهيم الأية 22.

والإصراخ: الإغاثة، اشتق من الصراخ لأن المستغيث يصرخ بأعلى صوته ، فقيل : أصرخه ، إذا أجاب صراخه ، كما قالو : أعتبه ، إذا قيل استعتابه . وأما عطف ﴿**وما أنتم بمصرخي**﴾ فالمقصود منه استقصاء عدم غناء أحدهما عن الآخر.

وقرأ الجمهور ﴿ بمصرخي﴾ بفتح التحتية مشددة. وأصله بمصرخي بياءين : أولاهما ياء جمع المذكر المجرور، وثانيهما ياء المتكلم ، وحقها السكون فلما التقت الياءان ساكنتين وقع التخلص من التقاء الساكنين بالفتحة لخفة الفتحة.

وقرأ حمزة وخلف ﴿ بمصرخي﴾ – بكسر الياء– تخلصا من التقاء الساكنين بالكسرة لأن الكسرة هو أصل التخلص من التقاء الساكنين .

قال الفراء: تحريك الياء بالكسر لأنه الأصل في التخلص من الالتقاء الساكنين ، إلا أن كسر ياء المتكلم في مثله نادر. وأنشد في تنظير هذا التخلص بالكسر قول الأغلب العجلي:

قال لها لكِ يــاتَافيٍّ•• قالت له : ما أنتَ بالمرضيِّ

أراد هل لك في يا هذه. وقال أبو على الفارسي : زعم قطرب أنها لغة بني يربوع. وعن أبي عمرو بن العلاء أنه أجاز الكسر . واتفق الجميع على أن التخلص بالفتحة في مثله أشهر من التخلص بالكسرة وإن كان التخلص بالكسرة هو القياس ، وقد أثبته سند قراءة حمزة .وقد تحامل عليه الزجاج وتبعه الزمخشري وسبقهما في ذالك أبو عبيد و الاخفش بن سعيد وابن النحاس ولم يطلع الزجاج و الزمخشري على نسبة ذلك البيت للأغلب العجلي.

ومن علماء الكوفة الذين تأثرو بهم ابن عاشور في تفسيره الكسائي(ت 189هـ). حيث قال ابن عاشور عند توجيه القراءات الواردة. في قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكذِبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾[1]

(1) سورة الأنعام الآية 33.

وعن الكسائي أن أكذبه هو وبمعنى كذب ما جاء به ولم ينسب المفعول إلى الكذب وأن كذبه هو نسبة إلى الكذاب. [1]

ومن ذلك أيضا عند توجيه القراء في قوله تعالى: "**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**"[2] . فقرأ الكسائي لنسوء بنون العظمة وتوجيه هذه القراءة من جهة مواصفة رسم المصحف أن الهمزة المفتوحة بعد الواو قد ترسم بصورة ألف فالرسم يسمح بقراءة واو الجماعة.

وقد ورد هذا المصطلح في مواضع كثيرة أثناء حديث ابن عاشور عن القراءات.

قال ابن عاشورعند توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى:" **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَاأَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**"[3] والكَتْب هنا مجاز في التشريع و الفرض بقرينة تعديته بحرف ﴿على ﴾، أي أوجبنا عليهم فيها، أي في التوراة مضمون ﴿أن النفس بالنفس﴾، وهذا الحكم مسطور في التوراة أيضا، كما اقتضت تعدية فعل ﴿ كتبنا ﴾ بحرف (في) فهو من استعمال اللفظ في حقيقة ومجازه.

وفي هذه إشارة إلى أن هذا الحكم لايستطيع جحده لأنه مكتوب و الكتابة تزيد الكلام توثقا، كما تقدم عند قوله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه**﴾ في سورة البقرة ، وقال الحارث بن حلزة:

وهل ينقص ما في المهارق الأهواءُ

والمكتوب عليهم هو المصدر المستفاد من (أنّ). والمصدر في مثل هذا يؤخذ من معنى حرف الباء الذي هو التعويض، أي كتبنا تعويض النفس بالنفس، أي النفس المقتولة بالنفس القاتلة ، أي كتبنا عليهم مساواة القصاص.

(1) التحرير والتنوير، 73/06.

(2) سورة الإسراء الآية 7.

(3) سورة المائدة الآية 45.

وقد اتفق القراء على فتح همزة (أنّ) هنا ، لأن المفروض في التوراة ليس هو عين هذهالجمل ولكن المعنى الحاصل منها هو العوضية و المساواة فيها.

وقرأ الجمهور "العين بالعين" وماعطف عليها بالنصب عطفا على اسم "(أنّ). " وقرأه الكسائي بالرفع.

وذلك جائز إذا استكملت "(أنّ). " خبرها فيعتبر العطف على مجموع الجملة.[1] أي أن تكون الواو عاطغة جملة أسمية على جملة فعلية، فتعطف الجمل كما تعطف المفردات، يعني: أن قولهُ "والعينُ" مبتدأ و"العين"خبره. والجملة الإسمية عطف على الجملة الفعلية "وكتبنا" وعلى هذا فيكون ذلك ابتداء تشريع وبيان حكم جديد غير مندرج فيما كتب في التوراة.

قال ابن عاشور عند قوله

تعالى:"**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**"[2] فقرأ الجمهور غيرُ بالرفع على الصفة لـ: "إِلَٰهٍ" باعتباره محله لأنه في محل رفع إذْ هو مبتدأ، وإنما جر لدخول حرف الجر الزائد، ولا يعتد بجره، وقرأه الكسائي بجر "غيره" على النعت للفظ "إِلَٰهٍ" نظرًا لحرف الجر الزائد. [3]

–وقال ابن عاشور عند قوله تعالى:

"**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**".[4]

وقرأ الجمهور بالرفع "فَيَكُونُ" أي فهو يكون عطفا على الخبر وهو جملة أن قول أن نقول.

وقرأ الكسائي بالنصب عطفا على "نقول" أي أن نقول له كن وأن يكون. [1]

(1) التحرير والتنوير 118/05.
(2) سورة الأعراف الآية: 59.
(3) التحرير والتنوير 146/08.
(4) سورة النحل الآية 40.

قال ابن عاشور في حديثه عن الاسم بين المد و القصر من خلال قوله تعالى :

"**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**"[2] فقرأ الجمهور "زكَرِيًا" بهمزة في آخره

ممدودًا ويرفع الهمزة. وقرأه الكسائي وحفص عن عاصم بالقصر .ويستفاد من هذا: جواز قصر الممدود، ومد المقصور وقد أجمع البصريون والكوفيون على جواز القصر الممدود للضرورة، واختلفوا في مد المقصور، فمنعه البصريون وأجازه الكوفيون وهذا الشاهد القرآني حجة الكوفيين على البصريين. [3]

ولقد دافع ابن عاشور عن قراءة " **قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ**" [4] فقرأها الجمهور بتشديد نون إن ـ وبالألف في هذان وكذا لساحران، وهي قراءة نافع وحمزة والكسائي. فدافع ابن عاشور عن هذه القراءة بثبت صحتها، عدم صحة ما روي من ادعاء أنه كتابة "هذان" خطأ من كاتب المصحف.

وذكر بن عاشور أن للمفسرين في توجيه هذه القراءة آراء بلغت الستة واختار منها ثلاثة آراء.

-**الأول:** وهو توجيه الزجاج، وصفه ابن عاشور بأنه الأظهروحاصله: أن يكون "أن" حرف جواب مثل نعم وأجل وهو استعمال من استعمالات "أن"، أيْ: اتبعوا لما استقر عليه أمرهم بعد النجوى كقوله عبيد الله بن قيس الرقيات.

ويقلن شيب قد علا •• ك وقد كبرتفقلت إنه

أي أجل أو نعم، والهاء في البيت ها السكت.

---

(1) التحرير والتنوير 126/13.

(2) سورة آل عمران الأية 37.

(3) التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم، صبري المتولي، دار غرسي للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ص87.

(4) سورة طه الآية 63.

وهذا التوجيه من مبتكرات أبي إسحاق الزجاج، وقال عرضته على عالمينا وشيخينا محمد بن يزيد(عني المبرد)، وإسماعيل بن إسحاق بن حماد(يعني القاضي الشهير) فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا.

وعلق الطاهر بن عاشور على ما ذكر هذان الشيخان فقال: لقد صدقا وحققا[1]

الثاني: وفي تفسير الوجيز للواحدي، سأل إسماعيل القاضي(هو ابن إسحاق بن حماد)

ابن كيسان عن هذه المسألة فقال ابن كيسان: لما لم يظهر في المبهم إعراب في الواحد ولا في الجمع(أي في قولهم هذا وهؤلاء إذ هما مبنيان) جرت التثنية مجرى الواحد إذ التثنية يجب أن لا تغير. فقال له إسماعيل: ما أحسن هذا لو تقدّمك أحد بالقول فيه حتّى يؤنس به! فقال له ابن كيسان: فليقل به القاضي حتى يؤنس به، فتبسم.

-**الثالث:** قال وجهت هذه القراءة أيضا بجعل "إنَّ" حرف توكيد، وإعراب اسمها المثنى جرى على لغة كنانة وبلحارث بن كعب الذين يجعلون علامة إعراب المثنى الألف في أحوال الإعراب كلها وهي لغة مشهورة في الأدب العربي.

وبعد ذكر الأوجه المتقدم علّق ابن عاشور على ذلك بقوله: "ونزول القرآن بهذه الوجوه الفصيحة في الاستعمال ضرب من ضرب إعجازه لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة المعاني متحدّة المقصود فلا التفاف إلى ما روي من ادّعاء أنّ كتابة "إنّ هذان" خطأ من كاتب المصحف، وروايتهم ذلك عن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه، وعن عروة بن الزبير عن عائشة، وليس في ذلك سند صحيح، حسبوا أنّ المسلمين أخذوا قراءة القرآن من المصاحف وهذا تغفّل، فإنّ المصحف كتب إلاّ بعد أن قرأ المسلمون القرآن نيّفا وعشرين سنة في أقطار الإسلام، وما كتبت المصاحف إلاّ من حفظ الحفاظ وما أخذ المسلمون القرآن إلا من أفواه حفّاظه قبل أن تكتب المصاحف، وبعد ذلك إلى اليوم، فلو كان في بعضها خطأ

(1)التحرير والتنوير 143/16.

في الخط لما تبعه القراء، ولكان بمنزلة ما ترك من الألفات في كلمات كثيرة وبمنزلة كتابة ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا – بالواو – في موضع الألف وما رووها إلاّ بألفاظها[1]

(1) التحرير والتنوير 19/144-145.

المبحث الثاني:

مدارس بغداد ومصر والأندلس والمغرب.

المطلب الأول: مدرسة بغداد.

المطلب الثاني: مدرسة مصر.

المطلب الثالث: مدرستا الأندلس والمغرب.

المطلب الأول: مدرسة بغداد

أولا: تمهيد:

بغداد مدينة من أهم مدن العراق العربي، وهي إن لم تكن كالبصرة والكوفة من حيث احتضانهما لنشأة النحو العربي وترعرعه فيهما إلاّ أن لبغداد كذلك بعد البصرة والكوفة شأنا عظيما. ويبدأ شأنها مع بداية الخلافة العباسية عندما جعلوا منها عاصمة لهم بدلا من دمشق ذلك لتقترب من بلاد فارس، لأن العباسيين أرادوا أن يستفيدوا منهم في شؤون الحكم لأسبقية الفارسيين في هذا الميدان. وهكذا أصبحت العاصمة محجة للعلماء والدارسين كشأن أي عاصمة أخرى يكون لها من الشأن مالا يكون لغيرها من بقية المدن الأخرى. وربما يكون العباسيون أنفسهم شجعوا العلماء والدارسين للرحيل إليها حتى تتجلى فيها عظمة الخلافة العباسية، هذه المدينة التي قال عنها الرافعي: "حاضرة الدنيا ومدينة الإسلام، ومظهر أبهة الخلافة وجلال الملك، وكان علماء الكوفة أسرع الناس إليها فأكرم العباسيون لقاءهم... [1]

ولقد اتبع نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجا جديدا في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا، وكان من أهم ما هيأ لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، ويعني بالتعمق في مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة. [2]

ثم جاءت بغداد ففخرت على البصرة والكوفة معا قالوا: "إنها وسط الدنيا وسرة الأرض، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها، سعة كبيرة

(1) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج387/1.

(2) المدارس النحوية، ص 245.

وعمارة سكنها أصناف الناس وانتقلوا إليها من جميع البلدان..... وباعتدال هوائها وعذوبة مائها حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم".

ويقول الجاحظ في بغداد غلى لسان بعض الجند "إن الدنيا كلها معلقة بها وصائرة إلى معناها... وجميع الدنيا تبع لها، وكذلك أهلها لأهلها، وفتاكها لفتاكها وخلاعها لخلاعها، ورؤساؤها لرؤسائها، وصلحاؤها لصلحائها" [1]

وأما البغداديون، فقد أخذوا عن البصريين والكوفيين، ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء إنما هي النحو البصري المتمثل في كتاب سيبويه، وكل ما في الأمر أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء، ويسر لهم هذا أن بغداد كانت مقصد البصريين والكوفيين جميعا لأنها عاصمة الخلافة الإسلامية وموطن الأعمال واكتساب الرزق، فكان يفد عليها بصريون و كوفيون وغيرهم من أهل سائر الأمصار، فلما اجتمعت هذه العناصر في صعيد بغداد، وانحاز إلى كل فريق تلاميذ و أصحاب، وجد من هؤلاء التلاميذ من لم يقصر الأخذ عن بصري وحده، و إنما كان يأخذ من هذا ويرجع إلى ذلك ومن البغداديين ناس كثيرون درسوا النحوين، و تخرجوا في المدرستين.

فليس المذهب البغدادي إذاً إلاّ مذهبا اختياريا، فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا، على نحو ما فعل ابن مالك في محاولته الجمع بين المذهبين وانتهاجه منهجا وسطا بينهما "فإن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ومذهب البصريين إتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر "[2].

حاول بعض الباحثين أن ينفوا وجود المدرسة البغدادية معتمدين على من يضمون أفرادها في البصريين والكوفيين، وأن علمين من أعلام جيلها الثاني ينسبان أنفسهما في البصريين، وهما أبوعلي الفارسي(288هـ-377هـ) وتلميذه ابن جني(320هـ-392هـ) إذ

(1) ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط5، دت، ج82/2 نقلا عن رسائل الجاحظ ص16.

(2) الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين للسيوطي، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، دط، 20006 ص440.

يعبران في تصانيفهما عنهم كثيرا بكلمة أصحابنا وينتصران في أغلب الأمور للأراء البصرية وكثيرا ما يطلق ابن جني على الكوفيين اسم: "البغداديين" وكأنهم مدرسة واحدة.

ومن هنا فإن المدرسة البغدادية اتجهت اتجاهين: اتجاها مبكرا عند ابن كيسان (ت299هـ) وابن شقير(ت315هـ) وابن الخياط(ت320هـ) نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية وأكثروا من الاحتجاج لها، مع فتح الأبواب لكثير من آراء المدرسة البصرية ومع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة. واتجاها مقابلا عند الزجاجي (ت337هـ) ثم عند أبي علي الفارسي(ت377هـ) وعند ابن جني (ت392هـ) نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية، وهو الاتجاه الذي ساد فيها بعد لا في مدرسة بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عنيت بدراسة النحو[1] وبعد هؤلاء –أي الزجاجي وأبي علي الفارسي وابن جني– بدأ العلماء يتتابعون في بغداد مع اتجاه أقوى إلى مدرسة البصرة،منهم الزمخشري (538هـ) وابن الشجري(ت542هـ) وأبو البركات الأنباري(ت577هـ). وأبو البقاء العكبري (ت616هـ)، وابن يعيش (ت643هـ) والرضي الأستراباذي (ت686هـ). [2]

ثانيا: اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة بغداد.

لقد رجع ابن عاشور في تفسيره إلى الكثير من الأراء البغدادية موافقا أو معارضا من ذلك:

قال ابن عاشور عند بيان القراءات في قوله تعالى:"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**" [3] وقرأ ابن كثير ﴿**أأنذرتهم**﴾ بهمزتين أولهما محققة والثانية مسهلة. وقرأ قالون عن نافع وورش عنه في رواية البغداديين وأبو عمرو وأبو جعفر كذلك مع إدخال ألف بين الهمزتين، وكلتا القراءتين لغة حجازية .

(1) المدارس النحوية ص 248.

(2) دروس في كتب النحو، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، دط، 1985، ص 106.

(3) سورة البقرة الأية 06.

وقرأه حمزة وعاصم و الكسائي بتحقيق الهمزتين وهي لغة تميم.وروى أهل مصر عن ورش إبدال الهمزة الثانية ألفا . قال الزمخشري وهو لحن ، وهذا يضعف رواية المصريين عن ورش ، وهذا اختلاف في كيفية الأداء فات ينافي التواتر" [1] وروى أهل مصر عن ورش إبدال الهمزة الثانية ألفًا".

قال الزمخشري: "وهو لحن" وقد ردّ عليه ابن عاشور فقال بعد ذلك "وهذا اختلاف في كيفية الأداء فلا ينافي التواتر" [2]

ولعل من المناسب أن أذكر كلام العلامة الزمخشري: حيث قال: فإن قالت ماتقول فيمن يقلب الثانية ألفًا؟ قلت: هو لاحن خارج عن الكلام العرب خروجين:

أحدهما: الإقدام على جمع الساكنيين على غير حدّ" ـ وحدّه أن يكون الأوّل حرف لين والثاني حرفًا ـ نحو قوله: الضالين.

والثاني: إخطاء طريق التخفيف، لأنَّ طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين، فأمَّا القلب ألفًا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس.[3]

وقد دافع ابن عاشور عن قراءة قوله تعالى:"**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (162) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)**" [4] **بإسكان "مَحْيَايْ".**

ويقول ﴿**ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ تحقق معنى الإسلام الذي أصله الإلقاء بالنفس إلى المسلم له، وهو المعنى اقتضاه قوله: ﴿**فقل أسلمت وجهي لله ومن تبعني**﴾كما

(1) التحرير والتنوير ج1 ص251.

(2) المصدر نفسه، 88/01.

(3) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري (أبو القاسم محمد بن عمر)، تح : خليل ممون شيحا، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط3، 2009، 88/01.

(4) سورة الأنعام الأية 162.

تقدم في سورة آل عمران، وهو معني الحنفية الذي حكاه الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾كما في سورة البقرة: وقوله ﴿**رب العالمين**﴾ صفة تشير إلى سبب استحقاقه أن يكون عمل مخلوقاته له لا لغيره، لأن ليس له عليهم نعمة الإيجاد، كما أشار إليه قوله في أول السورة: ﴿**الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾.

وجملة: ﴿**لا شريك له**﴾ حال من اسم الجلالة مصرحة بما أفاد جمع التوكيد مع لام الملك من إفادة القصر. و القصر من الصفة و الحال الرد على المشركين بأنهم ما أخلصوا عملهم للذي خلقهم. وبأنهم أشركوا معه غيره في الإلهية.

وقرأ نافع: ﴿**ومحيَايْ**﴾ بسكون الياء الثانية إجراء للوصول مجرى الوقف وهو نادر في النشر، والرواية عن نافع أثبتته في هذه الآية، ومعلوم أنّ الندرة لا تناكد الفصاحة ولا يريبك ما ذكره ابن عطية عن أبي على الفارسي: أنها شاذة عن المقياس لأنها جمعت بين ساكنين لأن سكون الألف قبل حرف ساكن ليس مما يثقل في النطق نحو عصاي و رؤياي. ووجه إجراء الوصل مجرى الوقف هنا إرادة التخفيف لأن توالي يائين مفتوحتين فيه ثقل، و الألف الناشئة عن الفتحة الأولى لا تعد حاجزا فعدل عن فتح الياء إلى إسكانها وقرأ البقية – بفتح الياء – وروى ذلك عن ورش، وقال بعض أهل القراءة أن نافعا رجع عن الإسكان إلى الفتح.

والمقصود من وصف هذا الموقف إثارة بغض الشيطان في نفوس أهل الكفر ليأخذوا حذرهم بدفاع وسواسه لأن هذا الخطاب الذي يخاطبهم به الشيطان مليء بإضماره الشر لهم فيما وعدهم في الدنيا مما شأنه أن يستفز غضبهم من كيده لهم وسخريته بهم، فيورثهم ذلك كراهية له وسوء ظنهم بما يتوقعون إتيانه إليهم من قبله. وذلك أصل عظيم في الموعظة.

ففي هذه القراءة إشكال مشهور حمل بعضهم على الطعن فيها وإنكارها قال أبو علي الفارسي: "إسكان الياء في محياىْ" شاذ عن القياس والاستعمال، فشذوذه عن القياس أنَّ فيه التقاء ساكنيين، لا يلتقيان على هذا الحدّ في محياي وأمَّا شذوذه عن الاستعمال فإنّك لا تكاد تجده في نثر ولا نظم.

وبهذا يعلم أن وجه الإشكال في هذه القراءة من ثلاث جهات:

- **الأولى:** وصل الكلمة مع بقاء السكون على آخرها، والأصل فيها الحركة.
- **الثانية:** الجمع بين الساكنين في حالة الوصل.
- **الثالثة:** التفريق بينها وبين نظيرها، وهو كلمة "مماتي" بعدها حيث قرأها أصحاب هذه القراءة بفتح الياء وصلا.

ويرد الطاهر بن عاشور على من اعترض على هذه القراءة بقوله:"وقرأ نافع" "ومحياىْ" بسكن الياء الثانية ـ إجراءً للوصل مجرى الوقف وهو نادر في النثر ـ ورد على أبي علي الفارسي: "أنَّها شاذة عن القياس لأنَّها جمعت بين ساكنين لأنَّ سكون الألف قبل حرف ساكن ليس ممّا يثقل في النطق نحو: عصاىْ، ورؤياىْ، ووجه إرجاء الوصل مجرى الوقف هنا إرادة التخفيف لأنّ توالي يائيين مفتوحتين فيه ثقل، والألف الناشئة عن الفتحة الأولى لا تعدّ حاجزًا فعدل عن فتح الياء الثانية إلى إسكانها.

استشهاده بآراء عبد القاهر الجرجاني في مثل قوله تعالى:" **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** " [1] المائدة41.

يقول بن عاشور" أما مثير الحزن في نفس المحزون فهو غير معروف في العرف ولذلك فهو من المجاز الذي ليس له حقيقة".ولقد أجاد الشيخ عبد القاهر الجرجاني إذ قال في:" دلائل الإعجاز":" اعلم انه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا

(1) التحرير و التنوير، 06 / 197،198.

أنت نقلت الفعل إليه صار حقيقة، فإنك لا تجد في قولك: أقدمني بلدك حق لي على فلان فاعلا سوى الحق وكذلك في قوله:

صيرني هواك وبي •• لحين يضرب المثل

ويزيدك وجهه حسنا.

أن تزعم أن له فاعلا قد نقل عنه الفعل فيجعل للهوى وللوجه هنا فتحت عنوان زهدهم في النحو واحتقارهم له: قال الشيخ عبد القاهر:" إذا كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلامه ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه... وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه... ورضي لنفسه بالنقص...)[1]

ومن أكثر الأسماء لمعانا في سماء التحرير والتنوير عبد القاهر الجرجاني. درس ابن عاشور دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وتأثر بما فيهما وتابع وأخذ من عبد القاهر الجرجاني.

ومن الأسماء المتداولة كثيرا في تفسير التحرير والتنوير الرضي الإسترابادي الذي يرى أن الظروف المضافة إلى الجمل نوعان: [2]

- ظروف واجبة الإضافة إليها بالوضع, و هي ثلاثة لا غير , ((حيث)) في المكان , و ((إذ)) و ((إذا)) في الزمان , و هي واجبة البناء باتفاق .
- ظروف جائزة الإضافة إلى الجملة , و لا تكون إلا زمانًا مضافًا إلى جملة مستفاد منها أحد الأزمنة الثلاثة لإحداث التناسب بين المضاف و المضاف إليه في الدلالة على مطلق

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط2، 1987، ص28.
(2) شرح الرضي، 4/ 122

الزمان .و ذلك لأن الإضافة إلى الجملة على غير الأصل و لذا فلا يجوز إضافة مكان إلى جملة .

و الظروف جائزة الإضافة على ضربين :

1- إما أن تضاف إلى جملة ماضية الصدر فيجوز بالاتفاق بناؤها و إعرابها مع ترجيح البناء .

2- وإما أن تضاف إلى الفعلية التي صدرها مضارع , أو الاسمية , فعند بعض البصريين لا يجوز إلا إعراب الظرف المضاف ; لضعف علة البناء .

و عند الكوفيين و بعض البصريين – الأخفش و الفارسي – يجوز بناؤه اعتباراً بالعلة الضعيفة , و هذا ما اختاره ابن مالك[1] و ابن هشام[2] من المتأخرين احتجاجا بورود السماع به في قراءة نافع {هَٰذَا يَوْمَ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ } [المائدة :119] بفتح ((يَوْمَ)) .

و قراءة { يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا} [الانفطار :19] بفتح ((يَوْمَ)). و قد قرئتا بالرفع أيضا على الإعراب,و كذلك ورودها في فصيح الأشعار .

لكن الرضي لم يرض عن الاحتجاج بالقراءة ;لإمكانية أن تكون الفتحة فتحة إعراب[3] , لاحتمال كونه ظرفا في آية المائدة و احتمال كونه بدلا من { **يَوْمِ الدِّينِ**} في آية الانفطار { **يصلونها يَوْمَ الدِّينِ**} . و قد بين ابن مالك لزوم كون الفتحة بنائية في الآيتين.

وابن عاشور يأخذ بمذهب الكوفيين في المسألة و يرى أنه الأصوب[4] و أنه التحقيق[5]

(1) شرح التسهيل، 255/3

(2) مغني اللبيب (ص672)،((و الصحيح جواز البناء)).

(3) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، 4/ 110. وما بعدها.

(4) التحرير و التنوير (330/26).

(5) المصدر نفسه (118/7)

و هو كما قال : اذ تأويل ما ورد به السماع على الإعراب مُتكَلَّف كما قال ابن عقيل : و لكن ذاك لا يمنع من كون الإعراب أرجح عند الكوفيين[1] من البناء فلا نحمل ما ظاهره الإعراب على البناء لأن ذلك أيضا تكلف , فالحمل على الإعراب أولى عند الطرفين الموجبين و المرجحين و هذا ما سلكه جمهور المفسرين و المعربين عند إعراب قوله تعالى « وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿41﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ» [ق 41-42]

فقد اتفقوا على أن ((يَوْمَ)) منصوبة حتى جعل الرازي مسألة ((يَوْمَ)) منصوب بأي فعل ؟ و انتهوا إلى أنها أحد المفعولين .

أولا : مفعول فيه و المفعول به محذوف و التقدير :

- استمع النداء يوم ينادي المنادي .
- يخرجون يوم ينادي المنادي .
- أن يكون خبرا عن المصدر و الإشارة إلى النداء .

ثانيا : مفعول به على أحد تقديرين :

- استمع بمعنى انتظر .
- استمع على حقيقتها و هو الظاهر , و هي مفعول على طريقة حذف المضاف و المعنى : استمع نبأ أو حديث يوم ينادي .

و لم يشيروا الى بناء **(يَوْمَ)** اذ لا داعي للذهاب الى البناء مع وضوح النصب .[2]

وقد قام ابن عاشور بعرض المحامل الثلاثة لقول تعالى : « وَٱسْتَمِعْ » ناسبًا كل محمل إلى صاحبه من السابقين[3]. ثم قال : و اللائق بالأخذ على المحامل الثلاثة المتقدمة

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك(122/3)

(2) المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، 355/2.

(3) التحرير و التنوير (329/26، 330).

أن يكون « يوم يُنَادِ ٱلْمُنَادِ » , مبتدأ و فتحته فتحة بناء؛ لأنه اسم زمان أضيف الى جملة فيجوز فيه الإعراب و البناء على الفتح، و قوله :« ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ » خبر مبتدأ .

المطلب الثاني: المدرسة المصرية

أولا: تمهيد:

بعد سقوط بغداد سنة 656هـ،وضعف شأن العرب في الأندلس، كان القطران: مصر والشام ملجأ للعلماء من سائر الأقطار الإسلامية، فكانوا حملة الثروة العلمية العربية والحافظين للبقية الباقية من تراث الإسلام.

"وكان السلاطين المماليك من خير الأعوان على إحياء الثقافة العربية والإسلامية بما أسسوا من مدارس، وبما أحسنوا من صنيع في تشجيع العلماء وتعظيم رجال الدين. وقد أصبحت القاهرة موئل الحضارة الإسلامية وكعبة القاصدين ومواطن الدرس والبحث وصارت المدارس تزخر بالطلاب والعلماء والمعلمين، ونشط التأليف في اللغة والأدب والتاريخ والدين وعلوم القرآن".[1]

هذه البقية الباقية كانت كالبذور التي منها نبتت النهضة العربية الحديثة في مصر والشام خصوصا وسائر الأقطار العربية عموما. والذي نريد أن نشير إليه هو ما كان للنحو من نصيب في هذين القطرين. ففي مستهل الحياة العربية فيهما كان عدد النحاة قليلا وذلك لأن نشاط علوم اللغة كان في مراكز العروبة وفي منابع الثقافة العربية: في العراق، وفي بلاد الأندلس، وقد نضجت العلوم وتم وضع أصولها ومعظم فروعها قبل أن ينتهي القرن الثالث الهجري، فلم يكن للأمصار العربية في أطراف المملكة الإسلامية إلى أن يتجهوا إلى العراق ينهلون من علمه، ويأخذون من علمائه، ويتلقون ما دونه الباحثون الأولون ومن تبعهم، ولم يكن لأهل مصر والشام إلا أن يفسحوا المجال لمن رحل إليهم من العلماء من مهد العروبة في بغداد وقرطبة.

وقد كثر المنشغلون بالنحو في هذين القطرين بعد أن ضعفت شوكة العرب في بغداد وقرطبة، فقد ازداد نشاط العلماء والباحثين والمؤلفين في فروع اللغة العربية وسائر أنواع

(1) المدخل إلى علم النحو والصرف، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة، ط3، دت، ص171.نموذج فقط

الثقافة الإسلامية، ولا سيما في الحقبة التي تلت سقوط بغداد في أيدي التتار. ففي هذا الفترة نجد عددا عظيما من العلماء قد نشطوا ودونوا في علوم اللغة كتبا كثيرة.

"ولعل الباعث على هذا النشاط هو شعور العلماء بما أصاب المكتبة العربية من ضياع وتلف بسبب إغارة التتار وتشريد المشتغلين بالبحث والدرس فأرادوا أن يعوضوا هذا النقص وأن يقيموا من جديد بناء العربية على البقية الباقية من ذخائر المتقدمين مما لم تلتهمه نيران المغيرين، فعكفوا على التأليف والجمع والشرح فأثمرت جهودهم وكان فضلهم على العلوم العربية عظيما"[1].

ومن أشهر نحاة مصر والشام. أحمد بن جعفر الدينوري(ت289هـ). والوليد بن محمد التميمي المشهور بولاد (ت263هـ). وأحمد بن محمد بن ولاد (ت332هـ) وأبو جعفرأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت337هـ) وطاهر بن أحمد بن بابشاذ(ت469هـ). وابن الحاجب (ت646هـ) وابن هشام (ت761هـ) وابن عقيل(ت769هـ) والسيوطي(ت911هـ).

وكانت المدرسة المصرية في أول نشأتها شديدة النزوع إلى المدرسة البصرية، حتى إذا كان القرن الرابع الهجري أخذت مسرعة تترسم منهج المدرسة الكوفية تارة ثانية، مع تركها تارة ثالثة والأخذ بآراء المدرسة البغدادية، ومع النفوذ إلى آراء اجتهادية تارة رابعة.

وأنبه نحاة المدرسة المصرية ابن الحاجب (ت646هـ) وأهم مصنفاته في النحو: "الكافية" وفي الصرف "الشافية".

وثمرة نحاة المدرسة المصرية ابن هشام (ت761هـ) وآيته الكبرى كتابه " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" ومنهجه بعامة هو منهج المدرسة البغدادية على نحو كان يتصوره أبو علي الفارسي وابن جني. [2]

ثانيا: اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة مصر.

(1) المدخل إلى علم النحو، ص 172.

(2) المدارس النحوية، ص371.

وقد نقل ابن عاشور أثناء تفسيره، ذكر "مغني اللبيب" لابن هشام في معرض تفسير الآية الكريمة:

"**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا و اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**" [1].

وقوله ﴿ **فبلغن أجلهن** ﴾مؤذن بأن المراد: ﴿ **وإذا طلقتم النساء** ﴾ طلاقا فيه أجل. والأجل هنا لما أضيف إلى ضمير النساء المطلقات علم أنه أجل معهود بالمضاف إليه. أعني أجل الانتظار وهو العدة وهو التربص في الآية السابقة.

﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم** ﴾أي يقاربون الوفاة لأنه حين الوصية.

الثالث:إرادته نحو ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا** ﴾.

الرابع: القدرة عليه نحو ﴿ **وعدا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ أي قادرين.

﴿ والأجل ﴾في كلام العرب يطلق على المدة التي يمهل إليها الشخص في حدوث حادث معين، ومنه قولهم : ضرب له أجلا ﴿ **أيما الاجلين قضيت.** ﴾

فكلام ابن هشام في مغني اللبيب" وذلك حين يقول ابن عاشور: وبلوغ الأجل الوصول إليه... وقد يطلق البلوغ على مشارفة الوصول ومقاربته. وفي القاعدة الخامسة من الباب الثامن من مغني اللبيب أن العرب يعتبرون بالفعل عن أمرين: أحدهما وهو الكثير التعارف عن حصول الفعل وهو الأصل، والثاني عن مشارفته نحو:" **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن**"[2].

---

(1) سورة البقرة الاية 231.

(2) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،ابن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة مصر، 2005، ص344.

وفي حديثه عن العلاقة بين الإعراب والمعنى والسياق يستأنس بآراء ابن هشام.

يقول الشيخ ابن عاشور:" وقد عقد ابن هشام بابا عظيم النفع في كتابه مغني اللبيب في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وجعل أولاها أن يراعى ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وذكر أن كثيرا ما تزل الأقدام بسبب ذلك ولذا فأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفردا أو مركبا.[1]

ولأن العلاقة بين المعنى والإعراب تكاملية يأخذ كل منها بعضد الآخر للإفصاح عن المقصود من الكلام أو السياق جعل مقابلة ذلك أيضا مرفوضا. وهو أن يراعي المعرب معنى صحيحا ولا ينظر في صحته في الصناعة. [2]

وقد رجع الشيخ الطاهر بن عاشور إلى كتاب مغني اللبيب لابن هشام كثيرا، مقررا لكلامه ومستشهدا به أو مناقشا إياه وناقدا له. ومن أمثلة إفادته منه استشهاده بقوله في تقرير مجيىء"هل" الاستفهامية لمعنى النفي قال: أثبته مغني اللبيب استعمالا شاسعا قال: أن يراد بالاستفهام بها النفي ولذلك دخلت على الخبر بعدها"إلا" نحو:"هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" [3].

والإحسان الأول: الفعل الحسن، و الإحسان الثاني: إعطاء الحسن وهو الخير، فالأول من قولهم: أحسنوا في كذا، و الثاني من قولهم: أحسن إلى فلان.

والاستفهام مستعمل في النفي، ولذلك عقب بالاستثناء فأفاد حصر مجازاة الإحسان في أنها إحسان، وهذا الحصر إخبار عن كونه الجزاء الحق ومقتضى الحكمة والعدل[4].

(1) المرجع نفسه، ص185.

(2) المرجع السابق، 196/2.

(3) سورة الرحمان الاية 60

(4) التحرير والتنوير، 11 /271.

المطلب الثالث: مدرستا الأندلس والمغرب.

أولا: تمهيد:

لقد استقرت مناهج النحو في المشرق العربي؛ في البصرة والكوفة وبغداد، وتأكد دور النحو في بناء الفكر الإسلامي لأنه كان وسيلة أساسية من وسائل فهم النص القرآني الكريم.وحين دخل الإسلام الأندلس اقبل أهلها على تعلم العربية وتعليمها، فبدأ الأندلسيون يرحلون إلي المشرق طلبا للعلم، واقبل عدد من علماء المشرق إلى الأندلس يحملون علمهم إليهم. وكان منهم أبو علي القالي الذي ظل في قرطبة حتى توفي بها سنة 138هـ. وكان الأوائل من النحاة الأندلسيين أكثر إقبالا على النحو الكوفي بسبب إقبالهم على القراءات.

ولما اطلعوا على كتاب سيبويه احتل عندهم مكان الصدارة من حيث الدرس والحفظ والشرح والتعليق عليه.

ثم يتوالى علماء الأندلس في الاختيار من مذهب أهل البصرة، ومذهب أهل الكوفة ومذهب أهل بغداد، لكنهم لا يخضعون خضوعا كاملا للنحو المشرقي، بل يضيفون إليه ما يتوصلون هم إليه. ولعل أهم النحاة الأندلس هم:

جودي بن عثمان المورروي(ت198هـ). وهو أول من أدخل إلى مواطنه كتب الكوفيين. وهذا ما جعل الأندلس تتأخر في عنايتها بالنحو البصري وأنها صبت عنايتها أولا على النحو الكوفي مقتدية بنحويها الأول جودي بن عثمان.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري ظهر الأفشنيق(ت307هـ) وهو أول من أدخل كتاب سيبويه إلى الأندلس[1] ومحمد بن يحي الرياحي (ت358هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي (ت379هـ) صاحب كتاب طبقات النحويين واللغويين، والأعلم الشنتمري (ت476هـ) وابن السيد البطليوس (ت521هـ) وابن الطراوة (ت528هـ). والسهيلي (ت583هـ). وابن مضاء القرطبي (ت591هـ). وابن خروف (ت610هـ).

وفي القرن السابع والثامن ظهر عدد من علماء النحو لم يستقروا في الأندلس لما توالى عليها من ويلات، منهم ابن عصفور(ت663هـ) وابن مالك(ت672هـ)، وابن الضائع (ت680هـ) وأبوحيان (ت745هـ).

ولقد أكثرت من ذكر أعلام المدرسة الأندلسية لألفت النظر غلى إقبال أهل الأندلس على النحو تعلما ثم شرحا. وتعليقا وتأليفا. وإن الصفة الغالبة على النحو الأندلسي كانت في

(1) المدارس النحوية، ص289.

نفس مسار النحو المشرقي بل إن الألفية التي ألفها ابن مالك هي التي سادت تدريس النحو في المشرق العربي. ودعوات ابن مضاء في الرد على النحاة أحيطت بدعاية غير قليلة. وبذل بعض المحدثين جهودا كبيرة للفت الأنظار إليه والترويج له."حتى كاد أن يستقر في أذهان بعض الدارسين أن ما احتواه هذا الكتاب إنما يمثل الطابع العام للمدرسة الأندلسية".[1]

وهذا الرأي غير صحيح لأن المدرسة الأندلسية –شأنها شأن المدارس الأخرى. تقوم على الاختيار من المدرستين الكوفية والبصرية، وتستفرد بآراء خاصة. أما دعوة ابن مضاء فهي ثورة على النحو المشرقي وفي هذه الثورة ما يوافق النحو الكوفي وما يوافق النحو البصري وما يوافق بغداد وما يوافق المغرب من خلال ما جاء في متن الآجرومية.

إن النشأة الحقيقية للمدرسة المغربية فتبدأ بسقوط غرناطة وهجرة النحاة إلى بلاد المغرب.

فلقد ظلت الأندلس تتابع نشاطها النحوي في القرن السابع الهجري، على الرغم من الخطوب التي تتابعت عليها، وإذ مازال الإسبانيون المغيرون يقتطعون منها مدينة إثر مدينة حتى لم يعد للعرب إلا رقعة ضيقة هي إمارة غرناطة، وهي من أكبر مراكز الحضارة العربية الإسلامية، اتخذت عاصمة لدولة بني الأحمر (633هـ–898هـ) وأهم آثاره العربية قصر الحمراء[2]، والتي ظلت –أي غرناطة– صامدة لهم نحو قرنين ونصف وظل يضطرم بها غير قليل من النشاط النحوي، ثم لم تلبث أن توقفت آلته الكبيرة بسبب هجرة النحاة إلى المغرب والمشرق واضطراب شؤون هذه الإمارة الصغيرة. [3]

(1) دروس في كتب النحو، عبده الراجحي ص170.

(2) المعجم العربي الأساسي ، ص892.

(3) المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص317.

وبهجرة النحاة إلى المغرب كان الميلاد الحقيقي والمستقل للمدرسة المغربية في النحو وهذا لا يعني أن هذه المدرسة لم يكن لها جذور قبل هذه الهجرة، ولم يكن لها نحاة ينتسبون إلى أقطارها.

ويقول الدكتور صالح بلعيد: "من الصعوبة أن نقر بأن هناك مدرسة مغربية محضة ونشفي غليل القارئ المتخصص عند الحديث عن هذه المدرسة، ولكن ما يمكن أن نصل إليه أن هناك نحاة مغاربة بحكم المولد والترحال"[1].

فبعد سقوط غرناطة سنة 898هـ1492م اتجه معظم العلماء إلى رباطات العلم بالمغرب العربي، فقصدوا فاس ومكناس بالمغرب الأقصى، وتلمسان وبجاية بالجزائر، والقيروان بتونس، وأصبحت هذه الأماكن مرابط يقصدها الطلاب من داخل المغرب العربي ومن خارجه حتى من أوروبا. وخير دليل على ذلك ما كانت تعرفه جامعة فاس التي كانت أول جامعة في إفريقيا فانطلقت الومضة من ينابيع فاس، وكانت ثمرة تجربة تربوية عريقة، إذ لا ننسى أن هذه المدينة كانت معقل مدرسة أبي طاهر المعروف بالخدب (ت580هـ)، وتخرج فيها ابن خروف (ت609هـ)، وامتدت إليها تعاليم الجزولي (ت606هـ) وابن أبي الربيع السبتي(ت570هـ) وهذا قبل أن تغرس فيها مدرسة ابن مالك (ت672هـ) التي عرفت تأصلا وترسيخا بين أساطين جامع القرويين، وهو جامع بمدينة فاس بالمغرب الأقصى[2] رغم إن ابن مالك وابنه الناظم ويحي بن معط الذين قدموا علما نحويا متميزا يصنفون عند بعض الباحثين من أعلام ونحاة المدرسة المصرية. كقول بعضهم: "إن هجرة ابن مالك لبلاد الشام كان بداية تارخية لتكوين المدرسة الشامية في النحو العربي" [3]

(1) في أصول النحو، صالح بالعيد، دار هومة للطباعة والنشر،. بوزريعة . الجزائر2005، ص164

(2) المرجع نفسه، ص164.

(3) الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا، فتحي عبد الفتاح الدجني، مكتبة الفلاح ، الكويت . ط2، 1987، ص31.

ولعل من أسباب نشأة المدرسة المغربية وتطورها آثار الحضارة الأندلسية في المدن المغاربية التي سكنوها حيث خدموا الجانب المهني والتعليمي بتأسيسهم الرباطات العلمية والزوايا.

ومن الأسباب التي أدت إلى تطور المدرسة المغربية جلوس العلماء للإفتاء في مختلف العلوم وكان نصيب النحو معتبرا فيتركون أقطابا أمثال: عياض بن عوانة بن الحكم وإبراهيم بن قطن المهري وأبو الوليد بن الملك بن قطن (ت656ه) وأحمد بن أبي الأسود النحوي، وخلف بن مختار الأطرابلسي (ت290ه)، وابن الوزان النحوي (ت346ه) وغيرهم.

ومن أسباب انتشار المدرسة المغربية تأليفهم المنظومات والمتون النحوية لغرض تيسير النحو وتعليمه للمبتدئين، لأن الاختصار والشعر يساعدان على الحفظ، ونالت هذه المنظومات مكانة عالية في بجاية وفاس في المدارس الشنقيطية وحتى في بلاد المشرق فأخذ العلماء يشرحونها ويعلقون علها بما يسمى بالحواشي.

ومهما يكن من أمر –شئنا أم أبينا– فقد وجد هذا الاتجاه الجديد في النحو العربي سماه البعض مدرسة، وسماه الآخر نحاة فقط ورفضه بعض الآخر، ولكنه اتجاه جديد لا محالة، نشأ في بلاد المغرب العربي، في شتى أقطاره، وانتسب إلى المغرب العربي، لأنه ترعرع هناك وعرف علماء ليسوا بنكرات، كبقية المدارس الأخرى. وعليه فلا سبيل إلى نكرانه، فمهما كانت التسميات فهو اتجاه جديد نستطيع أن نحدد له سماته وعلماءه من خلال الدراسات النحوية التي عرفت خلال المسيرة التاريخية للنحو العربي.

ثانيا: اجتهادات ابن عاشور مع مدرستي الأندلس والمغرب.

يبين ابن عاشور رأيه في المتأخرين بقوله:" وقد كان أبو حيان الأندلسي شديد العصبية لمذهب البصريين، وكان ابن مالك حكما عدلا بين الفريقين، فنال بذلك عداوة أبي حيان"[1].

ينكر ابن عاشور على أبي حيان إذ يقول: وتوسع بعض المفسرين في جلب مسائل النحو، مثل صنيع أبي حيان في" البحر المحيط" فخرجوا عن الغرض، فهو الى البلاغة أقرب، إذ يثني عن صنيع الزمخشري بقوله:" و أرشدهم إلى الغرض من التفسير الذين جعلوا تفاسيرهم من جهة البلاغة، ولعل أولهم العلامة الزمخشري صاحب"الكشاف" إمام البلاغيين، حين رأى من ضعف الناس في فهم دقائق القرآن[2] وهو يستأنس بكلام الزمخشري في خطبة كتابه:"...والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن كان علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما المعاني والبيان".[3]

قطع النعت عن المنعوت :

ويذكر ابن عاشور في حديثه عن ابن مالك في مسألة قطع النعت عن المنعوت :

لخص ابن مالك أحكام قطع النعت عن المنعوت بقوله :(إذا كثرت النعوت , و المنعوت لا يتعين إلا بجميعها لزم إتباعها كقولك : ايتني برجل مسلم عربي النسب فقيه نحوي كاتب حاسب . فهذه النعوت المتوالية على هذا الوجه و أشباهها بمنزلة نعت واحد لا يستغنى عنه , فلا تقطع . فلو حصل التعيين بدونها جاز للمتكلم أن يتبعها , و أن يقطعها, و أن يتبع بعضا بشرط تقديم المتبع و تأخير المقطوع , والإتباع أجود) [4].

(1) أليس الصبح بقريب ص191.

(2) المرجع نفسه، ص161

(3)الكشاف 16/1.

(4) شرح التسهيل(319/3).

وحقيقة القطع : أن يجعل النعت خبرا لمبتدأ , أو مفعولا لفعل , تقول :(مررت بزيد التاجر) بالأوجه الثلاثة , و لك أن تقول (هو التاجر) و (أعني التاجر) [1] .

و لاشك أن الأمر في القطع ليس بهذه الصورة التي تسمح للمتكلم بأن يتبع أو يقطع لإظهار أن اللغة تبيح كذا , و كذا , و كذا .

ولكن هناك غاية وراء القطع أو الإتباع بالإضافة إلى كون المنعوت متعينا بجميع النعوت أم لا , و هي السياق الذي يؤدي أحيانا الى وجوب أحدهما .

يقول ابن هشام : (إن كان النعت المقطوع لمجرد مدح أو ذم أو ترحم وجب حذف المبتدأ أو الفعل , , كقولهم : (الحمد لله الحميد) , بالرفع باضمار (هو) و قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)[المسد 3]بالنصب بإضمار (أذُم) [2] .

ومعنى كلامه أن المتحدث إذا أراد أن يبرز معنى معينا قطع و أضمر ضميرا أو فعلا , وبالطبع لا يعني أنه يجب القطع و لا يجوز الإتباع فيها ذكر من أمثلة بدليل أن الرفع في (حمالة) على الإتباع هو قرآة الجمهور و كما ابن هشام :((و الذي أجزم به أن قراءة الأكثرين لا تكون مرجوحة) [3], فوجب القطع على قراءة من نصب (حمالة) وهو حفص.

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،(284/3)

(2) المرجع نفسه.

(3) مغني اللبيب،(ص780).

خـاتـمـة

خاتمة :

والآن وقد وصلت إلى منتهى غاية بحثي، وقد وفقني الله إلى إتمامه وإنجازه،و أرجو أن يكون سويا. و بعد أن تتبعت – مستقصيا – الاجتهادات النحوية التي توصل إليها الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

ولا أريد في هذه الخاتمة أن أتحدث عن القيمة العلمية لتفسير الطاهر بن عاشور ولا عن الرصيد اللغوي والنحوي الذي حواه، فذاك أمر أنه صار واضحا لكل من ينظر في جذور ومداخل تفسير التحرير والتنوير. و لكن أكتفي هنا برؤوس أقلام تعدَ نتائج واستخلاصات توصلت إليها بعد مصاحبتي للطاهر بن عاشور في تفسيره حقبة من الزمن خرجت دراستي بالنتائج التالية:

1-إن الشيخ الطاهر بن عاشور لم يكن نبوغه من عدم بل كان نتيجة إرث ثقافي انجر له عن محيطه العائلي، كما كان نتيجة عوامل موضوعية تمثلت في نخبة من العلماء تتلمذ عليهم بشكل مباشر وغير مباشر. و بالنسبة لمحيطه العائلي، فكل الذين ترجموا له أقروا بأنه سليل أسرة علمية.

2-إن كتاب التفسير الذي عنوانه:"تحرير المعنى السديد،وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، والذي اختصره باسم "التحرير والتنوير" والذي قضى الشيخ في تصنيفه قرابة الأربعين عاما ميلاديا وتجاوزها هجريا. يعدّ أهم كتاب من الكتب التي ألّفها الشيخ الطاهر بن عاشور.

3-يتميز كتاب التحرير والتنوير بسعة مادته، فهو يجمع بين علوم العربية وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم الأحياء والطبيعة وعلم الكلام والفلسفة وغيرها.

4-موسوعية وقدرة الشيخ الطاهر بن عاشور على التعامل مع مختلف العلوم والمعارف وفي حرصه على صرامة المنهج وقصدية التفسير والتأويل.

5-إنّ المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره كانت كثيرة ومتنوعة. ومن الجدير بالملاحظة أيضا في هذا الصدد هذا الحشد الكبير لأئمة اللغة والنحاة خلال تفسير للآيات وهذا التوقف الطويل لآرائهم والاستفادة بمذاهبهم في النحو.

6-يعد الشيخ الطاهر بن عاشور من تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة في التفسير والتي كان من أبرز روادها شيخه الإمام محمد عبده، هذه المدرسة التي لا ترتضي بغير التفسير بالرأي بديلا. للتدليل على إعجاز القرآن باستعمال اللغة والبلاغةومدى تأثيرهما في بيان وجوه الإعجاز القرآني ودورهما في إثبات ذلك.

7-إنّ القارئ البصير لتفسير التحرير والتنوير يجد أنّه يقوم على ثلاثة أصول وهي: اللغة والرأي و المأثور. وأنّ الأساس والأصل الأوّل هو اللغة،فقد استحوذ على النصيب الأوفروالحظ الأكبر. وهذا يدل على خلفية وثروة الشيخ الطاهر بن عاشور العلمية في فنون اللغة.

8-يعنى الشيخ الطاهر بن عاشور بقواعد العربية "مجموع علوم اللسان العربي" وهي متن اللغة والتصريفوالنحو، والمعانيوالبيان.

9-لقد تناول الدارسون طريقة عرض ابن عاشور للمادة العلمية، فكانوا بين مسهب وموجز. وكان اهتمامهم بيان طريقته في عرض اللغة وما يتعلق بمسائل النحو والإعراب. وتميزت طريقته في أوجه الإعراب بما يلي:

- تقديمه المعنى على قواعد الإعراب.
- اكتفاؤه بذكر الأرجح ولا يعدد أوجه الإعراب.
- كثيرا ما ينطلق من توجيه الزمخشري في إعراب الآيات.
- الإتيان بوجه جديد لم يسبق له في الإعراب.
- عرض بعض الأوجه وتضعيفها.

– لا يلتزم إعرابا مفصلا أو شاملا، بل كثيرا ما يمرّ على مواضع دون تعرض لها إذ غَرضه التفسير لا الإعراب.

– كثيرا ما يعتمد في توجيهه على رأيه الشخصي وفهمه ودرايته بالنحو العربي.

10–مخالفة ابن عاشور لكثير من المفسرين واللغويين في كثير من المسائل، مع الاحتجاج لما يذهب إليه من آراء، ممّا يثري مجال البحث العلمي للموازنة بين ابن عاشور وغيره.

11–تحرر ابن عاشور من المذهبية النحوية، وكونه غير مقلد لمدرسة بعينها جعله يتناول القضايا تناولا حياديا أساسه التذوق والتعليل.

12–يعرض ابن عاشور للآيات القرآنية بالشرح والتفسير في ضوء ما طبع عليه وتميز به من ثقافة نحوية عالية، فهو يستشهد بآراء أئمة النحو وأساطينه، يأخذ عنهم ويناقشهم فيما ذهبوا إليه من آراء وأقوال حول إعراب الكلمة والجملة القرآنية ببراعة ومهارة فائقة.

13–إنّ إعراب الآيات القرآنية من الأمور التي عنى بها ابن عاشور اللغوي، فالإعراب أحد دعائم تفسيره، ولا تكاد تمر بآية من آيات القرآن إلاّ ولاحظت مدى عناية الشيخ بذكر أوجه الإعراب والنحو والصرف، على تفاوت في مدى عنايته بإعراب هذه الآية أوتلك.

14–يحاول ابن عاشور ألّا يترك أيّة شاردة أو واردة إلّا ويذكرها بطريقة تدل على قوة تمكنه من المادة التي تناولها مع ما عرف به من أسلوب في الجمع بين المباحث النحوية والإعرابية والمباحث البلاغية عند إعراب الآية الواحدة. فقد يبتدأ بإعراب الآية إعرابا نحويا ويفاجأ القارئ بدخول مبحث بلاغي في نفس الوقت.

15-إنّ غزارة المادة النحوية التي اشتمل عليه التحرير والتنوير كانت من الكثرة الهائلة بحيث أنها لو جمعت في كتاب مستقل أمكن أن تؤلف به كتابا مستقلا شبيها بكتب الأعاريب التي عنيت بإعراب الآيات فقط، ككتاب"مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب، وكتابي "معاني القرآن" لكل من الزجاج والفراء.

16-يعدّ الطاهر ابن عاشور أحد المجددين في العصر الحديث أو المصلحين على حد عبارته آراء إصلاحية. فالرجل له موقف من النحو والإعراب وله مكانة في اللغة والنحو، فهو مبرز في العربية وعلومها، عليم بأسرارها وقواعدها.

17-لقد كثرت مسائل النحو والصرف في التحرير والتنوير، فقد كان إعراب الآيات عند ابن عاشور وسيلة أساسا في فهم دلالتها والاحكام المستنبطة منها، ومن ثمّ رجع صاحب التحرير والتنوير إلى كثير من كتب النحو والصرف لمتقدمي النحويين ومتأخريهم أمثال سيبويه وابن حاجب وابن يعيش الزمخشري والجرجاني وابن هشام وغيرهم.

18-رجوع الشيخ الطاهر ابن عاشور إلى الكثير من آراء المدارس النحوية من خلال كتبهم ومؤلفاتهم وكان شديد الانحياز إلى آراء البصريين.

وصبغ عليها قدم الزمان صبغة احترام وقداسة موهوبة. وخصّ الشيخ الطاهر بن عاشور التعليم الزيتوني بالصبغة الشرعية واللغة العربية.

وختاما نرجو أن نكون قد أحطنا ولو بجانب من جوانب الموضوع المتشعبة، ذلك أنّ السؤال العلمي لا يقف عند حدود الإجابة عن الإشكالية، وإنّما تكون الإجابة عنها في طرح لتساؤل آخر ينمّ عن إدراك الموضوع.

خاتمة :

وليس لنا في الأخير إلّا أن نحمد الله سبحانه وتعالى لأن وفقنا لإتمام هذا البحث ونسأله–عز وجل – أن يكون عملنا موفقا ونافعا، كما بودنا أن نعتذر عن أيّ خطإ أو تقصير خاصة في حقّ التعامل مع الخطاب القرآني. والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

ملخص البحث

إنَّ هذا البحث عنوانه: " الاجتهادات النحوية لمحمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسير التحرير و التنوير". وما يمكن أن نصل إليه من خلال هذا البحث أنَّ للطاهر بن عاشور آراء تخالف آراء النحويين القدامى والمحدثين سواء من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية.

ومن الدوافع التي دفعتني للخوض في هذا البحث ، تداخل العلوم الدينية والعلوم اللغوية عند الطاهر بن عاشور، وهل يمكن أن نسميه عالما نحويا ؟ وكان التركيز على الجوانب النحوية لفهم النصوص القرآنية فهمًا دقيقًا بعيداً عن التأويلات والأهواء.

وتتلخص إشكالات هذا البحث في ما يلي :

استخلاص أعمال وجهود النحاة المغاربة ، من خلال الطاهر بن عاشور ودور هذه الجهود في فهم النص القرآني فهما صحيحا ودقيقا، ومقارنة هذه الجهود مع ما توصل إليه النحاة في المشرق العربي.

واعتمدت في هذه الدراسة على أكثر من منهج واحد نظراً لطبيعة الموضوع والخطة المنهجية فيه. ومنها: المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

وتحتوي خطة هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، فالفصل الأول كان ترجمة لسيرة الطاهر بن عاشور، والفصل الثاني كان للوقوف على الاجتهادات النحوية من خلال تفسير التحرير والتنوير، والفصل الثالث كان لمقارنة اجتهادات الطاهر بن عاشور مع المدارس النحوية القديمة .

الكلمات المفاتيح : الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير .الاجتهادات النحوية – آراء النحويين القدامى.

Résumé de la recherche

Cette recherche est intitulée : « Les grands-parents grammaticaux de Muhammad Al-Taher Bin Ashour à travers l'interprétation de la libération et des Lumières ». Et voir les vieux adversaires ou les vieux vieux, ou les adversaires.

L'un des motifs qui m'a poussé à m'engager dans cette recherche est le chevauchement des sciences religieuses et des sciences linguistiques chez Tahir Ibn Ashour, et pouvons-nous l'appeler un grammaticalise ? L'accent était mis sur les aspects grammaticaux de la compréhension précise des textes coraniques, loin des interprétations et des caprices.

Les problèmes de cette recherche sont les suivants :

Extraire les travaux et efforts des grammairiens marocains, à travers Taher Ben Achour, et le rôle de ces efforts dans la compréhension correcte et précise du texte coranique, et comparer ces efforts avec ce que les grammairiens ont atteint dans le Machrek arabe.

Dans cette étude, il s'est appuyé sur plus d'une approche en raison de la nature du sujet et du plan méthodologique qu'il contient. **Comprenant** : la méthode historique et la méthode comparative.

Le plan de cette recherche contient une introduction, trois chapitres et une conclusion, le premier chapitre était une traduction de la biographie de Tahir bin Ashour, le deuxième chapitre était de découvrir la jurisprudence grammaticale à travers l'interprétation de la libération et de l'illumination, et le troisième chapitre était de comparer les interprétations de Tahir bin Ashour avec les anciennes écoles grammaticales.

Mots-clés : Al-Taher bin Ashour - interprétation de la libération et de l'illumination Jurisprudence grammaticale - les opinions des anciens grammairiens.

مصادر البحث

و مراجعه

مصادر البحث ومراجعه :

1- أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور (دراسة نحوية دلالية).تألف د.ابراهيم سيد أحمد ط1، دار المحدثين للبحث العلمي و الترجمة و النشر القاهرة 1429 هـ/2008 م

2- إشكالية تعليم مادة النحو العربي في الجامعة (جامعة بجاية أنموذجا) حمار نسيمة د.ط مخبر الممارسات اللغوية ، الجزائر 2011.

3- الأصولّ ،د تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة 1420 هـ/ 2000 م.

4- الإعراب في القرءان الكريم، سميح عاطف الدين ، الطبعة الاولى دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1405هـ/1985 م.

5- الأعلام.تأليف خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الديمشقي .دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ماي 2002.

6- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمود سلمان ياقوت دار المعرفة الجامعية 2006 .

7- أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، تونس، الطبعة الأولى، 2006.

8- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، الاسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، 2003.

9- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة- مصر، دط، 2004.

10- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ، تحقيق .د موسى العليلي . مطبعة العاتي بغداد 1982.

11- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية دار الفكر بيروت 1979 م.

12- البيان و التبيين للجاحظ .تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الثالثة دار المعارف للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة 1968.

13- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرفاعي ، مطبعة الاستقامة القاهرة 1940 م

14- تاريخ الرسل و الملوك ، محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف ، مصر 1960 م.

15- تاريخ جامع الزيتونة، محمد بن عثمان الحشائشي تحقيق الجيلاني بن الحاج يحي مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله تونس الطبعة الثانية 1985.

16- التبيان في إعراب القرآن أبو البقاء العكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة البابي الحلبي – مصر 1976 م.

17- تراجم المؤلفين التونسيين ، محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، المجلد 3 /1994.

18- تفسير ابن عاشور دراسة لغوية، عبد الوهاب صابرعيسوي، رسالة ماجيستير، جامعة عين شمس القاهرة،2002 م.

19- تفسير التحرير و التنوير .تأّليف سماحة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.دار سحنون للنشر و التوزيع /تونس/1997.

20- التوجيه اللغوي و البلاغي لقراءة الإمام عاصم .د صبري المتولي دار غريب للطباعة و النشر. القاهرة 1997.

21- التوجيه في تدريس اللغة العربية، محمود علي السمان،د ط، دار المعارف القاهرة 1983م.

22- جامع الزيتونة للطاهر المعموري ، الطبعة الاولى ، الدار العربية للكتاب تونس1980.

23- الجملة النحوية نشأة وتطورا و إعرابا، د فتحي عبد الفتاح الدجني .الطبعة الثانية ، مكتبة الفلاح الكويت ، 1408 هـ /1987 م.

24- الجهود البلاغية لمحمد الطاهر بن عاشور، عبد الرحمان إبراهيم محمد السيد فودة، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع لبنان 1999م.

25- الحلل السندسية في الاخبار التونسية محمد بن محمد الاندلسي السراج تحقيق محمد الحبيب الهيلة الطبعة الاولى.دارالكتب الشرقية تونس 1970.

26- الخطاب القرآني .د خلود العموش ، عالم الكتب الحديث ، الاردن 2005 م.

27- الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد حسين آل ياسين الطبعة الاولى ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1980 .

28- دروس في كتب النحو ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت- لبنان 1985.

29- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثانية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق 1407 هـ/1987 م.

30- ديوان عنترة بن شداد ، تحرير د عمر الطباع دار الارقم بن الارقم ، بيروت لبنان2016 م

31- ذيل بشائر أهل الايمان بفتوحات آل عثمان تأليف حسين خوجة تحقيق الطاهر المعموري . الدار العربية للكتاب دت.

32- شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د عبد الرحمان السيد و د محمد بدوي الطبعة الاولى .دار هجر القاهرة 2008.

33- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، تحقيق : د يحي بشير مصري ط1 جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض 1417هـ.

34- شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق .د عبد المنعم أحمد هريدي الطبعة الاولى. طبعة جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث.دار المأمون للتراث 1982.

35- شرح المفصل لابن يعيش ، تحقيق إميل بديع يعقوب ، د.ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1422 هـ/2001 م.

36- شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ، تحقيق إميل بديع يعقوب ، الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت 1998 م .

37- شرح مقدمة ابن الحاجب المسماة بالشافية ، تحقيق محمد نور الحسنى وآخرين .دار الكتب العلمية بيروت 1395 هـ.

38- الشعر و الشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر لطبعة الاولى، درا المعارف القاهرة 1966م.

39- الشواهد النحوية بين المدارس ، عبد المجيد عيساني / رسالة ماجستير/مخطوط جامعة الجزائر/1999م.

40- شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره تأليف د بلقاسم الغالي.دار ابن حزم ، يروت لبنان. الطبعة الاولى 1417هـ/1996 م

41- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير و التنوير، تأليف الدكتورة هيا ثامر مفتاح العلي، دار الثقافة ، الدوحة قطر 1994.

42- ضحى الإسلام ،أحمد أمين ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة.

43- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1982.

44- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، د حماسة عبد اللطيف دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع القاهرة 2001.

45- الفريد في إعراب القرءان المجيد ، المنتجب الهمذاني ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح ، دار الزمان للنشر و التوزيع ، المدينة المنورة 1427 هـ/2006 م.

46- فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بين النظرية و التطبيق ، راتب قاسم عاشور و محمد فؤاد الحوامدة ، الطبعة الاولى دار الجدار عمان 2009.

47- الفهرس الكبير لكتاب التحرير و التنوير تأليف محفوظ غزال (فهرس المباحث النحوية) ط1. مطبعة الناجوري .أفريل 2009.

48- في أصول النحو، صالح بلعيد .دار هومة للطباعة و النشر ، بوزريعة الجزائر 2005.

49- كتاب سيبويه ، تح: عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي القاهرة 1988.

50- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، الزمخشري (أبو القاسم محمد بن عمر) تحقيق خليل مأمون شيحا ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة بيروت لبنان 1430هـ / 2009 م.

51- لسان العرب ، ابن منظور الطبعة 2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان 1997 م.

52- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، الطبعة الرابعة ، عالم الكتب ، القاهرة -1425 هـ/2004 م.

53- مجمع اللغة العربية ، ندوة اللغة العربية و التعليم ، دار البحث دمشق رد.ط 2000 م.

54- محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله و التفسير وعلومه ، الاستاذ أياد خالد الطباع ، الطبعة الاولى ، طبعة دار القلم دمشق ، 1426 هـ 2005. م.

55- المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، الطبعة الخامسة ،دار المعارف القاهرة 1983 .

56- المدخل إلى علم النحو و الصرف عبد العزيز عتيق ، الطبعة الثانية دار النهضة العربية للطباعة .

57- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو، مهدي المخزومي الطبعة الثالثة دار الرائد العربي بيروت لبنان 1986.

58- المرجع في تدريس اللغة العربية،ابراهيم محمد عطا، الطبعة الاولى مركز الكتاب القاهرة 2005.

59- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين ابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات،دت،دط.

60- مشكل إعراب القرءان الكريم ، منى القيسي ، تحقيق حاتم صالح الضامن الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان .1405 هـ/1984م .

61- مصادر التراث النحوي ، محمود سليمان ياقوت دط دار المعرفة الجامعية، القاهرة 2003م.

62- معاني القرآن الكريم للفراء (أبو زكرياء يحي بن زياد)تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار الطبعة الاولى عالم الكتب بيروت 1988

63- معاني القرآن للزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي طبع المكتبة العصرية بيروت ، لبنان 1408هـ / 1988 م.

64- معاني القرآن وإعرابه أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي .طبعة 01 دار الكتب العلمية بيروت لبنان1408 هـ/1988 م.

65- المعجم العربي الأساسي ، جماعة من اللغويين العرب ، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . دد .دت .

66- المعنى و الإعراب عند النحويين ونظرية العامل .عبد العزيز عبده ، منشورات الكتاب و التوزيع و الاعلان و المطابع ، طرابلس ، ليبيا 1982 م.

67- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب /عبد الله بن هشام الانصاري المصري .تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.دارالطلائع ، القاهرة 2005.

68- مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور(دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها) ط:02.دار الكتب العلمية بيروت لبنان1407هـ/1987 م.

69- مقاصد الشريعة الإسلامية ، محمد الطاهر بن عاشور. دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني د ت.

70- مقالات الشيخ الطاهر بن عاشور، للشيخ محمد الحبيب بن الخوجة.

71- المقاييس البلاغية في تفسير التحرير و التنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حواس برّي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت الطبعة الاولى 2002.

72- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر الطبعة الأولى الدار المصرية 1425هـ/2001م.

73- الموجز في تدريس اللغة العربية ، محمود أحمد السيد ، الطبعة الاولى دار العودة –بيروت لبنان 1980 م.

74- النحو والدلالة محمد حماسة عبد اللطيف ، الطبعة الاولى ، دار غريب القاهرة 1403 هـ /1983 م.

75- النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع و الاعلانات، ليبيا طبعة 03 /1990 م.

76- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي،تحقيق سالم مكرم طبع عالم الكتب القاهرة 1429هـ.

77- أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة الاولى ، دار السلام للطباعة و النشر القاهرة 1427 هـ/2006 م

الدوريات :

1- مجلة المنهل العدد 515 و المجلد 55 ، ذو الحجة 1114 هـ/ماي 1914 م.

2- مجلة المنهل عدد 449 مقال الشيخ الطاهر بن عاشور ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

3- مجلة الهداية الاسلامية عدد شوال 1351 هـ/مقال بعنوان ، شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس ، للشيخ محمد الاخضر حسين .

4- مجلة الوعي الإسلامي الكويت عدد 28 . أفريل 1986 .

5- مجلة جوهر الإسلام.مقال للدكتور محمد بن ابراهيم الحمد بعنوان : التقريب لتفسير التحرير و التنوير لابن عاشور ، العدد 03 و 04.

مواقع الأنترنت

1- موقع واي باك متشن،نبذة عن حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس نسخة محفوظة ، 03 ماي 2017 .

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	04
مقدمة	05
الفصل الأول	
الفصل الأول: ترجمة محمد الطاهر بن عاشور	11
المبحث الأول: نسبه و مولده	12
المطلب الأول : نسبه	13
المطلب الثاني :اسمه و مولده	14
المطلب الثالث :نشأته وزوجته و أبناؤه	17
المبحث الثاني : سيرته الذاتية و العلمية وشيوخه و تلاميذه وتأثره بمفكري عصره	21
المطلب الأول : سيرته الذاتية و العلمية	22
– شخصيته	22
– مسيرته العلمية و الوظيفية	22
– مؤلفاته	24
المطلب الثاني: شيوخه وأساتذته و تلاميذه	28
1- شيوخه وأساتذته	28
2- تلاميذه	30
المطلب الثالث : تأثره بمفكري عصره	35
المطلب الرابع : إصلاحاته وتطور العلوم في عصره	40
1- إصلاحاته	40
2- خبرته في التدريس	41
3- رؤيته الإصلاحية العلمية والتربوية	42
4- تطور العلوم في عصره	43
5- تطبيق رؤيته الإصلاحية والعلمية	45

المبحث الثالث : أهم مؤلفاته (التحرير و التنوير)	48
المطلب الأول : تعريفه وأهميته	49
1- تمهيد	49
2- كتاب التحرير والتنوير	51
أ ـ أهمية الكتاب	51
ب ـ قيمة الكتاب	52
ج ـ أهم مصادره	52
أولا : كتب التفسير	53
ثانيا : كتب البلاغة	55
ثالثا: كتب اللغة	56
المطلب الثاني : مكانته بين التفاسير	59
– وفاة الطاهر بن عاشور	60
الفصل الثاني	
الفصل الثاني:الاجتهادات النحوية من خلال التفسير و التحرير	61
المبحث الأول اهتمامه بعلوم اللغة وآدابها	62
المطلب الأول اهتمامه بعلوم اللغة عموما	63
المطلب الثاني : اهتمامه بعلم النحو	67
المبحث الثاني أهمية الدرس النحوي عند الطاهر بن عاشور في فهم النص القرآني .	72
المطلب الأول : النحو والإعراب في التحرير والتنوير	73
المطلب الثاني آراء ابن عاشور في النحو والإعراب	85
الفصل الثالث	
الفصل الثالث: اجتهادات ابن عاشور النحوية و المدارس النحوية القديمة	97
المبحث الأول : مدرسة البصرة و الكوفة	98
المطلب الأول : مدرسة البصرة	99
تمهيد	99
اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة البصرة	102

المطلب الثاني : مدرسة الكوفة	108
تمهيد	108
اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة الكوفة	109
المبحث الثاني : مدارس بغداد و مصر و الأندلس و المغرب	116
المطلب الأول: مدرسة بغداد	117
تمهيد	117
اجتهادات ابن عاشور مع مدرسة بغداد	119
المطلب الثاني :المدرسة المصرية	127
تمهيد	127
إجتهادات ابن عاشور مع مدرسة مصر	129
المطلب الثالث : مدرستا الأندلس والمغرب	132
تمهيد	132
اجتهادات ابن عاشور مع مدرستي الأندلس والمغرب	135
خاتمة	138
ملخص البحث	144
مصادر البحث و مراجعه	146
فهرس الموضوعات	155